جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بالديدامون – شرقية

هُوِيَّةُ إخوان الصفا وخلان الوفا

إعداد

الدكتور: عادل محمد عبدالقادر علي

المدرس بقسم الأديان والمذاهب بكلية الدعوة الإسلامية – جامعة الأزهر

E-mail: dradel٢٠١٨١٧@yahoo.com

العـــدد الحادي عشر

١٤٤٦هـ- ٢٠٢٤م

هُوِيَّةُ إخوان الصفا وخلان الوفا

عادل محمد عبدالقادر علي

قسم الأديان والمذاهب، كلية الدعوة الإسلامية، جامعة الأزهر، المدينة: القاهرة. الدولة: جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: dradel٢٠١٨١٧@yahoo.com

الملخص:

تتجلى أهداف البحث في الوقوف على طبيعة المذهب الفكري الذي أثَّر في إخوان الصفا، ممن نسبوا إليه من المعتزلة والشيعة، بما يؤكد عمق التواصل الفكري بين هذه المدارس الفكرية بآرائها المتشابهة إلى حدٍّ كبير، مع ذكر الشواهد والأدلة والقرائن على تأثُّر إخوان الصفا بكلٍّ من المعتزلة والشيعة الاثنا عشرية والزيدية والإسماعيلية. وأما إشكالية الدراسة وتساؤلاتها: ما هُوية إخوان الصفا؟ وإلى مَن ينتمون فكرياً؟ وهل تأثَّر إخوان الصفا بالمعتزلة في المبادئ والأصول الخمسة؟ وهل كان هذا التأثُّر حقيقة أم ادعاءاً؟ إلى أي مدى تأثَّر إخوان الصفا بالشيعة بفرقها المختلفة (زيدية، وإمامية، وإسماعيلية، ونصيرية) ؟ ما الدليل على انتماء إخوان الصفا لهذه الاتجاهات والأفكار؟

وأما منهج البحث: فهو المنهج التحليلي والنقدي للرد على بعض الأفكار التي جانب فيها إخوان الصفا الصواب، وبيان فساد قولهم في بعض المواطن، المنهج المقارن: لمعرفة مصادر إخوان الصفا ومن انتسبوا إليهم من المعتزلة والشيعة بفرقها المختلفة، وأما عن نتائج البحث فقد خرجت بهذه الصورة: يري إخوان الصفا أنفسهم أنه ليس هناك ما يمنع البتة من أخذ الحقيقة من هذا أو من ذاك (يجوز أخذ المبادئ والأفكار من الفلاسفة والباطنية والمعتزلة وغيرهم من الأديان الأخرى) رغم ما قد يختلف عليه الآخرون في بعض العقائد والأفكار. التوصيات :أوصي بتوجيه أنظار الباحثين إلى دراسة رسائل إخوان الصفا والقضايا العقدية التي تشتمل عليها وبيان مدى توافقها مع العقيدة الإسلامية الصحيحة، ومدى مخالفتها. وهل تأثروا بالمعتزلة أو الشيعة أو غيرهم.

الكلمات المفتاحية: هُوِيَّةُ – مذهب – انتماء – إخوان الصفا – خلان الوفا

Belonging Ikhwān aṣ-Ṣafāʾ the Brethren of Purity

Adel Mohamad Abd el-kader Ali
Department of Religions and Sects, Faculty of Islamic Da'wah, Al-.Azhar University, city: Cairo Country: Arab Republic of Egypt
Email: dradel٢٠١٨١٧@yahoo.com

Abstract
The objectives of the research are to determine the nature of the intellectual doctrine that influenced the Ikhwan al-Safa, from among the Mu'tazila and Shiites who attributed to it. This confirms the depth of intellectual communication between these schools of thought with their very similar views. While mentioning the evidence, evidence, and evidence that the Ikhwan al-Safa were influenced by the Mu'tazilites, Twelver Shiites, Zaidis, and Ismailis.

As for the problem of the study and its questions: What is the identity of the Ikhwan al-Safa? To whom do they belong intellectually? Were the Ikhwan al-Safa influenced by the Mu'tazilites in the five principles and principles? Was this influence real or fake? To what extent were the Ikhwan al-Safa influenced by the Shiites and their various sects (Zaidi, Imami, Ismaili, and Nusayri)? What is the evidence that the Ikhwan al-Safa belong to these trends and ideas?

As for the research method: it is the analytical and critical method . To respond to some ideas in which the Brothers of Al-Safa were incorrect, and to demonstrate the corruption of their statement in some cases. The comparative approach: to know the sources of the Ikhwan al-Safa and those who affiliated with them among the Mu'tazilites and Shiites in their various sects.

As for the results of the research, they came out in this way: The Brothers of Purity themselves see that there is absolutely nothing preventing one from taking the truth from this or that (it is permissible to take principles and ideas from philosophers, mystics, Mu'tazilites, and others from other religions), despite what others may disagree about in some beliefs. And ideas .Recommendations: I recommend directing the attention of researchers to studying the messages of the Ikhwan al-Safa and the doctrinal issues they contain and clarifying the extent of their compatibility with the correct Islamic doctrine, and the extent of their contradiction. Were they influenced by the Mu'tazila, the Shiites, or others?

Keywords: Identity - Doctrine- Fact - Ikhwan Al-Safa - Khalan Al-Wafa

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآلة ومن والاه وبعد، فإن تاريخ إخوان الصفا كان ولا يزال غامضاً، نظراً لكونهم جماعة سرية معارضة من ناحية، وما كيل لهم قديماً وحديثاً من تُهَمٍ من ناحية أخرى، وما لحق بهم من تضييق وتنكيل وإحراق لرسائلهم، أُحرقِت "رسائل إخوان الصفا" ببغداد. ونهى الخليفة المستعلي الناس عن قراءتها، وقتل جماعة من الإسماعيلية. لذلك فتاريخهم يدخل في إطار المسكوت عنه. كما أن فكرهم كان ولا يزال مضببا لدى القدامى والمحدثين أيضا، نظرا لأن رسائل إخوان الصفا كتبت في مرحلة لاذ فيها أصحابها بالتقية، فلم يفصحوا عن مكنون معتقداتهم، ولجأوا إلى الرمز واللمز إيثاراً للسلامة والعافية. ولما كتبوا الرسائل (رسائل إخوان الصفا (فى أربعة مجلدات)، ووهبوها للناس وحشوا هذه الرسائل بالكلمات الدينية والأمثال الشرعية والحروف المجتمعة والطرق المموَّهة، وهي مبثوثة من كل فنّ بلا إشباع ولا كفاية، وفيها خرافات وكنايات وتلفيقات، و«رسائل» إخوان الصفا وما شاكلها من الفلسفة الإقناعية المشوقة غير المبرهنة. ولما كتم مصنّفوها أسماءهم اختلف الناس في الذي وضعها فكل قوم قالوا قولاً بطريق الحدْس والتخمين. فقوم قالوا: هي من كلام بعض الأئمّة العلويّين. وقال آخرون: هي تصنيف بعض متكلّمي المعتزلة في العصر الاول. وقال آخرون: إن دعوة إخوان الصفا قد بنيت على آراء فلسفية مصدرها عقائد الباطنية والمعتزلة والفلسفة.

ويبدو لي جلياً أن أخبار إخوان الصفا كانت من الكثرة بحيث تستحق أن تفرد بالتصنيف، فقد تناولها جمع غفير من الباحثين، وسبروا غورها، وبقي على الدارس أن يتتبع ما تناثر من أخبار عن انتماء وهوية إخوان الصفا في المصادر؛ فقد وردت ترجمتها وبعض أخبارها في مصادر غير قليلة – تكشف عنها حواشي هذه الدراسة – ولكن معظم ما ورد متناقل مكرور. وأكمل صورة للحديث عن مصادر التلقي عند جماعة إخوان الصفاء هي ما تشتمل عليه هذه الدراسة –فيما أزعم– .

أسباب اختيار الموضوع:

لقد دفعتني رغبة صادقة لدراسة موضوع هوية إخوان الصفا وحقيقة مذهبهم وانتماءاتهم الفكرية، وذلك لعدة أسباب منها:

-اختلاف وجهات نظر الباحثين والعلماء في أمر الانتماء المذهبي لإخوان الصفا، فقد وَجدت المناقشات الحديثة صدىً لها بين باحثي العصر الوسيط أنفسهم.

-الوقوف على طبيعة المذهب الفكري الذي أثر في إخوان الصفا، ممن نسبوا إليه من المعتزلة والشيعة، باعتبار أن الآراء التي خرجت من معين كل منهم دليل على أن اللاحق قد تأثر بالسابق ونسج على منواله.

-بيان النزعة المذهبية أو العقدية التي يدين بها إخوان الصفا ومن تأثروا به من المعتزلة والشيعة (إمامية وزيدية وإسماعيلية) بما تتضمنه من مفاهيم وأفكار.

-الوقوف على حقيقة الأدلة التي تثبت مدى تأثر إخوان الصفا بفكر المعتزلة والشيعة من واقع فكر كل اتجاه.

-ومما يدعو لدراسة هذا الموضوع محاولة إلقاء الضوء على جوانب مهملة من الفكر الإسلامي من تحديد هوية إخوان الصفا، والتي لم تنل نصيباً وافراً من البحث، نتيجة إهمال أصحابها بيان حقيقتهم في رسائلهم، وبيان مدى تأثر اللاحق بالسابق، هل تأثروا فعلاً بالمعتزلة أو الشيعة؟ أو بالداروينية القائلين بالتطور والنشوء والارتقاء؟ هل صدرت كتاباتهم تمثيلاً للشيعة الإسماعيلية؟ مَنْ يقدر أن يجمع المعرفة كلها؟ كيف لكتاب لا يتجاوز عدد صفحاته الألفين صفحة أن يشمل كتب الحكماء والأنبياء بأسرها؟ هذا ما تجيب عنه هذه الدراسة.

أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى:

١-بيان هوية إخوان الصفا وانتماءاتهم الفكرية على حد قول بعض الباحثين الذين مزجوا بين فكر الشيعة الاثنا عشرية وبين إخوان الصفا تارة، وقول الآخرين الذين نسبوهم إلى الاعتزال، ثم إلى من نظَمَهم مع الشيعة الإسماعيلية في عقدٍ واحد.

٢- الوقوف على نوعية التأثر بين إخوان الصفا وبين المعتزلة أو الشيعة، بما يؤكد عمق التواصل الفكري بين هذه المدارس الفكرية بآرائها المتشابهة إلى حد كبير.

٣-ذكر الشواهد والأدلة والقرائن على تأثُّر إخوان الصفا بكلٍّ من المعتزلة والشيعة الاثنا عشرية والزيدية والإسماعيلية.

إشكالية الدراسة وتساؤلاتها: إن محاولة الباحث تحديد هُويَّة هذه الجماعة (إخوان الصفا وخلان الوفا) يعكس جانباً مهماً وأساسياً من أفكارهم ومواقفهم وسلوكياتهم، وإن كان ليس من السهل ولا العسير جداً تحديد هويتهم، حيث سنجد أنفسنا في مواجهة عدد كبير من الأسئلة:

١-ما هُوِيَّة إخوان الصفا؟ وإلى مَن ينتمون فكرياً؟

٢-هل تأثَّر إخوان الصفا بالمعتزلة في المبادئ والأصول الخمسة؟ وهل كان هذا التأثر حقيقياً أم ادعاءاً ؟ وشواهد ذلك.

٣-إلى أي مدى تأثَّر إخوان الصفا بالشيعة بفرقها المختلفة (زيدية، وإمامية، وإسماعيلية، ونصيرية)؟

٤-ما الدليل على انتماء إخوان الصفا لهذه الاتجاهات والأفكار؟

منهج البحث:

أما عن المنهج المستخدم فقد استخدمت:

١- المنهج التحليلي: لقراءة النصوص وترتيب الأفكار والمعلومات والآراء الواردة للوصول إلى الصورة الواردة.

٢- المنهج المقارن: لمعرفة مصادر إخوان الصفا ومن انتسبوا إليهم من المعتزلة والشيعة بفرقها المختلفة، لما لها من تأثير خاص على فكر إخوان الصفا.

٣- المنهج النقدي: للرد على بعض الأفكار التي جانب فيها إخوان الصفا الصواب، وبيان فساد قولهم في بعض المواطن.

الدراسات السابقة: وُجِدَتْ بعض الدراسات التي تناولت فكر إخوان الصفا العام ، أفاد منها الباحث في بعض المواطن، وعلى الرغم من أهمية هذه الدراسات السابقة، إلا أن الدراسة حول هوية إخوان الصفا خاصةً قليلة إلى حد ما، وتقضي الأمانة العلمية الإشارة إلى بعض الدراسات التي تقاطعت مع هذا البحث، من تلك الدراسات على سبيل المثال:

– حقيقة إخوان الصفا. عادل العوا، ط : الهلالي للنشر والتوزيع.

–إخوان الصفا رواد التنوير في الفكر العربي، د محمود إسماعيل، ط عامر للطباعة والنشر بالمنصورة، الطبعة الأولى ١٩٩٦م .

– التلفيق العقدي عند إخوان الصفا، محمد عبد الحمىد القطاونة، مجلة جامعة حضرموت للعلوم الإنسانىة المجلد ١٢ ، العدد ٢ ، دىسمبر ٢٠١٥م.

– إخوان الصفا وخلان الوفا: دراسة في اتجاههم الفكري، قوميد فتيحة – مازن صباح الأعرجي المجلد ١٤ – العدد ٠٢ – ديسمبر ٢٠٢٢. المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية – جامعة سيدي بلعباس.

وهي دراسات تناولت فكر إخوان الصفا بصفة عامة، ولم تتجه أيٌ من هذه الدراسات إلى تحديد هوية إخوان الصفا بصفة خاصة، إلا ما ذكره صاحب " إخوان الصفا وخلان الوفا: دراسة في اتجاههم الفكري" من إشارات خفية إلى ذكر تأثر إخوان الصفا بالفلاسفة والباطنية.

خطة البحث: اشتملت على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة:

المبحث الأول: حقيقة إخوان الصفا

المبحث الثاني: التأسيس وأبرز شخصيات إخوان الصفا

المبحث الثالث: هوية إخوان الصفا ومصادر التلقي عندهم.

المبحث الرابع: انتماء إخوان الصفا

المبحث الخامس: مناقشة فكر إخوان الصفا من وجهة نظر علماء الإسلام

ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات والمراجع

تمهيد

ظهرت جماعة إخوان الصفا بمفكريها الذين دعوا إلى التوفيق بين الدين والفلسفة اليونانية، واشتهرت بتصنيفها مجموعة من الرسائل في مختلف فروع الفلسفة والعلوم الإنسانية، وقد لاقت رواجاً كبيراً، إلا أن الباحثين لم يستطيعوا الجزم بهوية هذه الجماعة، نظراً لوجود تشابه كبير بين أفكار هذه الجماعة وبين غيرها من الفلسفات الأخرى. وفيما يلي تعريف الهوية:

حقيقة الهُوية: الهُوِيَّة لغة: بضم الهاء وكسر الواو المشددة (هُوِيَّة) ويخطئ من يفتح الهاء والواو ويخففها، لأن الهَوية هي البئر العميقة وجمعها هَويات، كما أن الهوية بضم الهاء وفتح الواو تصغير هوة، وهي كذلك البئر العميقة ([1])، والماهية مشتقة من السؤال: ما هو ؟ أو ما هي؟ إذن الهُوية في معناها اللغوي تدل على حقيقة الشيء أو الشخص المشتملة على صفاته الجوهرية التي تميزه عن غيره([2]). إذ يمتلك كل شخص انتماءات عديدة يمكن أن تتغير أثناء حياته.

واصطلاحاً: النموذج الذي يعكس معتقدات الناس وأمزجتهم ومواقفهم. فهي تعبر على الانتماءات الجماعية التي تحكم سلوك جماعة ما.

وهنا لا بد من التأكيد على التلازم بين جانبين مهمين في الهوية، وهما جانب التصرفات والتصورات، أي الجانب الفكري الاعتقادي المذهبي المعنوي والجانب الآخر الجانب العملي الواقعي، والانفصال بينهما بوجود أحدهما دون الآخر لدى الفرد لا يتيح بحال من الأحوال أن يكون انتماؤه لتلك الهوية صحيحاً، فلو كان لديه قناعة وانتماء لفكرٍ ما، أو معتقد ما ولا يتصرف بموجبه فإنه لا يمكن أن ينسب والحال هذه إلى ذلك الفكر أو تلك الهوية، كما أن التصرف الخالي من دوافع فكرية وتصورات ذهنية منطلقة

---

[1] -ابن منظور، جمال الدين ابن منظور الأفريقي، لسان العرب(١٥|٣٧٤) ط ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م، دار صادر بيروت.

[2] -الجراري، عباس، هوية الأمة، من موقع الباحث على شبكة الانترنت: www.abbasjirari.com

من قناعة ما، لا يمكن بحال أن تجعل المتصرف منتميا لهوية ما يندرج تحت مضامينها ذلك التصرف. وكما أن للأفراد هوية فكذلك للمجتمع هوية وللأمة هوية، وهوية المجتمع تنطلق من أفراده، إذ للهوية علاقة أساسية بمعتقدات الفرد ومسلماته الفكرية وبالتالي تحدد سمات شخصية وأُطُر سلوكه وتصرفاته([1]). وفكرة البحث تدور حول أهم مقومات الهُويَّة لدى جماعة إخوان الصفا وخلان الوفا من خلال تراكم المعارف والثقافات والأفكار التي سجلها المنتمون لفكر هذه الجماعة، والمرجعية الأساسية لهويتهم. من خلال تتبع تاريخهم لِنَصِل إلى تحديد أشكال الهوية التي درج عليها إخوان الصفا.

[1] -الـ شبكة الإ سلامية، صراع الهويات وخ صائص الهوية الإ سلامية، منـ شور في موقع الـ شبكة الإسلامية على الانترنتwww.islamweb.com

المبحث الأول: حقيقة إخوان الصفا

١-اسم إخوان الصفا: ليست هذه اللفظة المزدوجة (إخوان الصفا) بالجديدة في الأدب العربي، ولا بالقليلة الورود فيها، فقد أطلقت على نفسها اسم (إخوان الصفا وخلان الوفا، وأهل العدل، وأبناء الحمد) ([1])، وقد اختاروا هذا الاسم من باب الحمامة المطروقة في كتاب (كليلة ودمنة) ليدل على صفاء الأخوة والمودة بينهم ([2])

مفهوم إخوان الصفا في اللغة:

مصطلح مركب من كلمتين (إخوان – الصفا)، وتطلق هذه الفرقة لغةً على الأصدقاء الذين صفت مودتهم من كدورات البشر، وتحلوا بأوصاف الكمال الروحي ([3]).

واصطلاحاً: ذكر الباحثون لها عدة تعريفات منها:

١-التعريف الأول: ذ كر القفطي: " أنهم عُصْبةٌ تألفت بالعشرة، وتصافت بالصداقة، واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة فوضعوا بينهم مذهباً زعموا أنهم قربوا به الطريق إلى الفوز برضوان الله تعالى، وذلك لما رأوه في زعمهم من تدنُّس بالشريعة بالجهالات واختلاطها بالضلالات، ولا سبيل لتطهيرها إلا بالفلسفة"([4]) . جماعة تآلفت وتصافت بالمودة، على حد قولٍ ممّا يروى لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه:

وللقلب على القلب ... دليل حين يلقاه

وفي الناس من الناس ... مقاييس وأشباه

وفي العين غنى للمرء... أن تنطق أفواه. ([5])

---

[1] -رسائل إخوان الصفا، ج١، ص ٢١.

[2] -الحجاب، الفلسفة السياسية عند إخوان الصفا، ص٢٣؛فروخ،إخوان الصفا،ص١٥.

[3] – موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، تقديم، د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، ترجمة،د. عبد الله الخالدي، ١٢٤/١، ط١ ١٩٩٦م،مكتبة لبنان ناشرون – بيروت

[4] – تاريخ الحكماء، جمال الدين القفطي، تحقيق، بروفيسور، جوليوس، ليبرت، م١٩٠٨ ،ص٨٣.

[5] – الدرر ٣/ ١٢٠، وهمع الهوامع ١/ ١٧.

قال بعض الحكماء: ليس للإنسان تنعُّمٌ إلا بمودَّات الإخوان، وقال العباس بن جرير: المودة تعاطف القلوب وائتلاف الأرواح وأنس النفوس ووحشة الأشخاص عند تنائي اللقاء وظهور السرور بكثرة التزاور، وعلى حسب مشاكلة الجواهر يكون الاتفاق في الخصال.([1])

زاد التوحيدي قوله: " وزعموا –إخوان الصفا– أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال.([2]) .هذا الكلام من مثقف كبير عاش تجربة عصره بمرارة وقلق، وشارك في إغناء ثقافة العصر الذي هو عصر إخوان الصفا، بعينه– هذا الكلام يقوله التوحيدي بعينه، لم يكن ليقوله إلا وهو يعلم من أمر الجماعة وأمر العصر ما هو واقع. أو ما هو إحدى صور هذا الواقع.

التعريف الثاني: جماعةٌ سرية ظهرت في القرن الرابع الهجري يكتنفها الغموض الشديد تجمع حولها طبقات وفئات مختلفة، من: الملوك والوزراء، والكتاب، والعمال، والتجار، والفقهاء وغيرهم. ويَصِفُهم أبو حيان التوحيدي في كتابه "المقايسات" المشار إليه سابقاً فقال " هناك ذكاءٌ غالب، وذهنٌ وقَّاد ومتسع في قول النظم والشعر، مع كتابات بارعة في الحسابات واللغة وحفظ أيام الناس وسماع المقالات والتبصر في الآراء والديانات، ويشرح إخوان الصفا فكرهم وهويتهم خلال الجزء الرابع من رسائلهم يخاطبون قارئهم ومريدهم فيقولوا :" اعلم أيها الأخ البار أيدك الله بروح منه ، نحن جماعة أصدقاء أصفياء كرام كنا بتنا مرة في كهف مدينتنا تتقلب بنا تصاريف الزمان ، ونوائب الحدثان حتى أشرقت علينا الشمس وجاء وقت المعاد فانتبهنا، ولما إنقضى دور الرقاد وإجتمعنا بعد تفرق في البلاد في مملكة صاحب الناموس الأكبر – يقصدون الله سبحانه وتعالى – وشاهدنا مدينتنا الروحانية فهل لك يا أخي أن تركب معنا سفينة

---

[1] – المحا سن والأ ضداد، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الـ شهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ)، النا شر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام الن شر: ١٤٢٣ هـ، ص٧٣.

[2] – رسائل إخوان الصفا، القاهرة، ١٩٦٥، ج٤، ص ٤٠٤)

النجاة التي بناها سيدنا نوح عليه السلام فتنجو من طوفان نار الطبيعة قبل أن تأتي السماء بدخان مبين تسلم من أمواج و بحر هيولي ولا تكن من المغرقين"([1]). ولئن قيل: «قيمة كل امرئ ما يحسن»، فقد أحسن إخوان الصفا في نظْم الرسائل، فجاء اللفظ بليغاً، إلا أن معناه فيه شَطَط، بسبب تأثر إخوان الصفا بالباطنية، وذكر أهل العلم أن أولَ من أحدث الشركَ الأكبرَ في المسلمين من هذه الأمة هم الباطنيون؛ حيث ظهرت القرامطة الباطنية وأتباعهم "إخوان الصفا"، وتولى كِبْر ذلك الدولةُ العبيدية. فألحق بعض العلماء إخوان الصفا بالباطنية. تلك الجماعة السرية الخفية التي بثت عقائدها، ورسائلها الخمسين بسرية تامة حتى لا يكاد يعرف لها كاتب ولا مصنف، وإن ظن ظناً. ولا يحاسب على الزّلّة الواحدة من لا يعدم منه الزلل والعثار. وقيل: «الكامل من عُدّت سَقَطاته».

التعريف الثالث: جماعة سرية دينية، وسياسية فلسفية، وشيعية أو إسماعيلية باطنية، تألفت وتضافرت في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري منهم: محمد بن مشير البستي، وعلي بن هارون الزنجاوي، ومحمد بن أحمد النهرجوري، والعوضي، وزيد بن رفاعة. اعتقد أفراد الجماعة أن الشريعة الإسلامية دنست بالجهالات، واختلطت بالضلالات، ولن تطهر ويحصل الكمال لها إلا بالفلسفة؛ لاشتمالها على الحكمة الاعتقادية، والمصلحة الاجتهادية. اجتمع أفراد هذه الجماعة على القدس والطهارة، ووضعوا مذهباً استخلصوه من كل علم، زاعمين أنه يؤدى إلى الفوز برضى الله؛ ولذا سموا "إخوان الصفا وخلان الوفا".([2]) يمكن القول : إن منهجية إخوان الصفا وغاياتهم في قبولهم جميع العلوم والمذاهب الحقة منها والباطلة، وعدم معاداتها لأي باطل انتقاصٌ واضحٌ في حق الشريعة الدينية ووصفها بعدم الاكتمال، ومن ثم فهي بحاجة إلى اكتمالها، وتطهيرها من الجهالات والضلالات، ولا يكون ذلك – كما في اعتقاد

---

[1] –(صالح الفوال (٢٠٠٠) علم الاجتماع في عالم متغّير، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ص ١٠١.

[2] –المقال وتطوره في الأدب المعا صر: الـ سيد مر سي أبو ذكري، النا شر: دار المعارف، الطبعة: ١٩٨١–١٩٨٢م، ٣٦.

إخوان الصفا- إلا بالفلسفة اليونانية البشرية الحاوية للحكم الاعتقادية والمصالح الاجتهادية ، فمتى انتظمت والشريعة العربية معاً فقد حصل الكمال الأكمل، ومن هنا كانت جهودهم الكبيرة في إبراز التوفيق بين الدين والفلسفة، وأنه لا تعارض بينهما من جهة، والتوفيق بين الدين الإسلامي وجميع الملل والنحل المختلفة من جهة أخرى .!! حيث يرى إخوان الصفا: أنه ليس بين الدين والفلسفة تعارض، أو نزاع، نعم هما يختلفان مجالاً وأداة، ولكل منهما شخصيته وكيانه، إلا أنهما يتفقان غاية. ولا يخفى أن اعتقاد إخوان الصفا بتدنيس الشريعة الدينية بالجهالات كشف اللثام عن كيدهم للإسلام ورفضهم له، فالقرآن الكريم هو بحق أصدق الحديث، وهدى الرسول المصطفي صلى الله عليه وسلم هو أحسن الهدى، وليس هدى فلاسفة اليونان.

من خلال ما سبق يمكننا أن نصل إلى تعريف إخوان الصفا بأنهم : " جماعة من الخلان لهم مجلس خاص يجتمعون فيه في أوقات معلومة، لا يدخل فيه غيرهم، يتذاكرون في هذا المجلس علومهم، ويتحاورون فيه أسرارهم، وأكثر مذاكراتهم في : علم النفس والحس والمحسوس، والعقل والمعقول، والبحث عن أسرار الكتب الإلهية، والتنزيلات النبوية، ومعاني ما تضمنها موضوعات الشريعة، وينبعي أن يكون لهم درس في الرياضيات وما يندرج تحتها من العلوم، العدد، والهندسة، والتنجيم، والتأليف، وأما تاج علومهم فينبغي أن يكون البحث عن العلوم الإلهية التي هي الغرض الأقصى". ([1]) . وإمعاناً في سرِّية العمل التنظيمي وضع إخوان الصفا كتابة خاصة بهم، تتم بها المراسلة الدائرة بين الدعاة ومركزهم الرئيسي فيقولون: (وارَيْنا أن نكتب ما نريد بحروف ركبناها بكلمات نظمناها، وبذلك تكون لهم لغة فيما بينهم لا يشاركهم فيها أحد)([2]). وقد عِيبَ عليهم أنهم يتذرَّعون بالسرية في تنظيم شئونهم، ولست مع من يقول بهذا على أنه قدح فيهم، فقد يكون له داعٍ ومبرر يحتمه، كشئون الملك والسياسة

---

[1] - راجع: رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، المجلد الرابع، العلوم النامو سية الإلهية والشرعية الدينية، ص ٤١، ط ١، ١٤٠٥ه، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، إيران.

[2] -معصوم، اخوان الصفا، ص.٨٤

تحتاج إلى من يحفظ السر ولا يفشيه، حفظاً لهيبة الدولة والسلطان واستتباب الأمن، فكتمان السر له محاسنه، فمن محاسن كتمان السر: قال: كان المنصور يقول: «الملك يحتمل كل شيء من أصحابه إلّا ثلاثاً: إفشاء السر، والتعرُّض للحُرَم، والقَدْحُ في الملك». وكان يقول: «سِرُّكَ من دمك فانظر من تملكه» . وكان يقول: «سَرُّك لا تُطْلِع عليه غيرك، وإن من أنفذ البصائر كتمان السر حتى يبرم المبروم». وقيل لأبي مسلم: «بأي شيء أدركت هذا الأمر»؟ قال: «ارتديتُ بالكتمان، واتَّزرْت بالحزم، وحالفتُ الصبر، وساعدت المقادير، فأدركتُ طُلبتي، وحُزْتُ بُغيتي" (١).

إن رداء السِّرية على أفكار إخوان الصفا منذ بداية ظهورها ونقاط الجدل التي أثيرت حول مصادر هذه المجموعة المتمثلة بالرسائل والتي أصبحت مثار خلاف بين كل علماء الإسلام والغرب، بالإضافة إلى مسألة هُوية المؤلفين، أو ربما المؤلف الواحد، وغيرها من المسائل، مثَّلت أهم الدوافع للبحث في هذا الموضوع.

ومما يجدر ذكره أن طابع السرية والغموض الذي كان معلماً من معالم إخوان الصفا جعل البعض يتردد في بيان حقيقتهم، فهناك من ينصفهم ويمدحهم بأنهم من دعاة الفكر التنويري، وأشادوا بعلمهم وقيمتهم الأدبية، وهناك من ينتقدهم ويذمهم ويصفهم بأنهم عصابات مسلحة عرفت باسم الحشاشين. وقد اختلف الدارسون في فهم الأسباب التي دعتهم إلى التستر والتخفي، فبعضهم قال إن الاضطرابات السياسية التي انتشرت في الامبراطورية العباسية كانت السبب المباشر في اختيار إخوان الصفا للتقية، لا سيما بعد انتشار الفوضى وانعدام الأمن. والبعض الآخر قال إن أفكار إخوان الصفا كانت غريبة عن عصرهم فآثروا التكتم عليها، أما الفريق الثالث فقد ذهبوا إلى أن إخوان الصفا لم يكونوا مهتمين بنشر أسمائهم بقدر اهتمامهم بنشر أفكارهم، فلم يتحدثوا عن أنفسهم ولم يذكروا أسماءهم.

---

١ – المحاسن والأضداد: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ)، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: ١٤٢٣ هـ، ص ٤٥.

لكن على الرغــم من هذه المشارب المتنوعة في تحديد هويتهم، إلا أنهم يشتركون في المنطلقات الإصلاحية الاجتماعية والسياسية وجسدوها برسائلهم التي بثوها في طبقات المجتمع، دون أن يشيروا إلى مصنفيها خشية أن يتعرضوا لنقمة مَنْ بيده الصولجان والسلطة، فقلبت مفاهيم الناس رأساً على عقب، وأحدثت بينها من التغيير والتبديل والتفاعل ما لا تزال آثاره باقية إلى اليوم. ([1])

مَن هم إخوان الصفاء؟

مجموعة من المفكرين والعلماء الذين التقوا في مدينة البصرة خلال القرن الرابع وعملوا متعاونين، على التوفيق بين الشريعة والفلسفة، مُعَوِّلين على ثقافتهم الموسوعية، مسترفدين كتب الفلاسفة القديمة، مؤمنين بأنه "متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة المحمدية فقد حصل الكمال". فكانت حصيلة ذلك اللقاء كتابة اثنتين وخمسين رسالة استودعوها معارفهم، ومختلف أفكارهم وعلومهم، كاشفين من خلالها عمَّا وصل إليه العرب من تطور كبير في مجال الفلسفة، ومن اطلاع عجيب على التراث اليوناني القديم، ومن إلمام غير مسبوق بالثقافتين الفارسية والهندية. والرسائل –كما ترى– مرآة لأفكار إخوان الصفا، تعكس عقائدهم الاجتماعية والسياسية والثقافية، وتتميز بسهولة الأسلوب، ووضح الفكرة، واختيار الألفاظ، مما جعلها قريبة من المقال الأدبي الفلسفي في أشياء عديدة.([2]) ولولا الكتاب لاختلّت أخبار الماضين، وانقطعت آثار الغائبين.

أصل التسمية:

ذكر صاحب " كليلة ودمنة" في حوارات شخصيات كتابه، والذي بدأه بقول الحكيم " بيدبا"([3]) : " قد سمعت مثل المتحابين يقطع بينهما الخؤون والمحتال، فاضرب لي مثل

---

[1] –الفكر السياسي عند إخوان الصفا، أحمد عدنان عزيز، كلية العلوم السياسية–جامعة بغداد، ص ٢٩٦.

[2] – المقال وتطوره في الأدب المعاصر، ص ٣٧.

[3] – بيدبا: والذي يعني في اللغة السنسكريتية القديمة الرجل الحكيم أو معلم البلاط، وهو فيلسوف وحكيم هندي كتب مجموعة قصص في الحكمة والأخلاق وجمعها في كتاب أسماه بنجاتنترا والتي تعني الفصول الخمسة، وقد ترجم بعد ذلك إلى الفهلوية الفارسية ومن ثم إلى العربية تحت عنوان

إخوان الصفا وكيف يكون تواصلهم واستماع بعضهم من بعض" ، هذا المعنى بالذات يشير إلى المضمون الذي يريد مؤلف أو مؤلفو الرسائل بثه كأسلوب للتعامل والتعاون بين أفراد جماعتهم والمتشيعين لمذهبهم.([1])وكأنهم قالوا عن فحوى الرسائل:" تجيش به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا" وتذكر بعض المصادر بأن الشعوب الإسلامية قد عرفت العديد من " الأخويات" مثل تلك التي نجدها لدى الصوفية، والفرق الدرويشية، إذ نجدها تقوم على فكرة التضامن بين أفراد جماعتهم وتأسيس تعاملاتهم على العدل والمساواة والأخوة كأن تعرف لهم سابقتهم ([2])، وهذا يعني أن الأخويات ليس في حد ذاتها مذهباً أو اتجاهاً سياسياً بقدر ما هي صفة تحمل على أتباع مذهبٍ ما، يجمعها اتفاق الأخوة في التحاب والمودة ، على حد قول القائل:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن مقتد ([3])

الأمر الذي يفسح المجال أمام إعادة النظر في الاعتقاد القائل بأن إخوان الصفا اسم لتنظيم مذهبي وسياسي متميز عن الإسماعيلية.

"كليلة ودمنة"، ومعظم شخصيات هذا الكتاب من الحيوانات والبهائم. https://ar.wikipedia.org/wiki

[1] – ابن المقفع(١٩٩٨م)، كليلة ودمنة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع–الجزائر. ص ١٣٢.

[2] – فريد حجاب، ١٩٨٢م، الفلسفة السياسية عند اخوان الصفا. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ٢٥

[3] – ديوان عدي بن زيد: في شعراء الجاهلية: ٤٦٦، ومجموعة المعاني: ١٤، وغيرهما كثير. وقد أثبت البيت كما رواه أبو جعفر، وكما جاء في المخطوطة، أما نا شر المطبوعة فقد غيره، وأثبت ما درج عليه من الرواية

المبحث الثاني: التأسيس وأبرز شخصيات إخوان الصفا

عُدَّ منهم: أبو سليمان بن معشر البستي([1]) والمعروف بالمقدسي وأبو حسن بن هارون الزنجاني([2]) و أبو محمد المهرجاني([3])، ومحمد بن أحمد النهرحوري، و العوقي([4]) وكاف معهم في خدمتهم زيد بن رفاعة و يقال ان هذه العصابة قد تألفت بالعشرة واجتمعت على القدس و الطهارة و النصيحة تألفت وتضافرت في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري.([5])

ومن الباحثين من نسبهم إلى الباطنية فقال : هي جماعة ترى أن لظواهر النصوص والأخبار بواطناً، وهم طوائف عديدة تلجأ إلى الرموز والإشارات في تفسير النصوص، وإخراجها عن معانيها الظاهرة، وهم بذلك يهدمون الدين، ويبطلون شعائره وأحكامه،

---

[1] -سليمان بن معشر البستي-: اختلفت المصادر في تسميته فقد ذكر أبو سليمان محمد بن معشر البيستي ويعرف بالمقدسي، عند أبي حيان التوحيدي إلا أن الشهرزوري ذكره بطريقة أخرى وجعل ا سمه محمد بن مع شر البستي وكنيته ابو سليمان، بينما البيهقي وياقوت الحموي ذكره م سعر. (التوحيد، د . ت، ج،٢ ص ٤؛ البيهقي، ١٣٥١، ص٢١؛ الحموي، ١٩٩٣، ج،١ص ١٣٣٥.)

[2] -أبو الحسن علي بن هارون الزنجاني -: اختلف المؤرخون با سم والده وذ سبه، وأما قوله " صاحب المذهب" فالظاهر ىعنى أنه من مذهب إخوان الصفا، لأنه سبق أن تكلم عنهم في بداىة كتابه (الإمتاع والمؤانسة) البيهقي، ١٣٥١، ص ٢١؛ ابن حجر العسقلاني، ١٩١١، ج،١ ص٤١٦؛ الخوارزمي، ١٩٨٦ ج:٤ ص١٦٨١.

[3] -(أبو أحمد المهرجاني) ت٤٠٢هـ ـــــــــ١٠١١م(: - اختلفت المصادر التاريخية على نسبه ابو أحمد فالبعض منه جعلته المهرجاني نسبة الى قرية مهرجان، أما ابن حجر فنسبه بالمهرجوني (ابن حجر، ١٩١١ ج،١ ص٤١٦؛ البيهقي، ١٣٥١، ص ٣٠٣؛ الحموي، ١٩٩٣، ج،١ ص١٣٣٥

[4] -العوقي: -لم تذكر المصادر التاريخية التي اطلعنا عليها ا سمه الكامل على وجه اليقين، وإنما اقتصرت على ذكر النسبة التي اشتهر
لها عوق وهي اسم قبيلة وأىضاً اسم محلة بالبصرة كانت تسكنها تلك القبلة، كان حكيما له رسالة في تفسير أقسام الموجودات وتصانيف
لطيفة .) البيهقي، ١٣٥١، ص ٢٦ .

[5] - أبو حيان التوحيدي، ١٩٢٩ ، المقابسات ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ، ص ٤٥.

وقد أظهر معظمهم التشيع، ومن طوائف الباطنية: إخوان الصفا وخلان الوفا، والقرامطة، والخرمية، والإباحية، وغيرهم([1]).ويقول في هذا الشأن كذلك محقق" جامعة الجامعة " كنا بالأمس على يقين حينما قلنا بأن جماعة إخوان الصفاء وخلان الوفاء لغزٌ مبهمٌ في التاريخ الإسلامي صَعُب حلُّه، وسرٌّ من أسرار العقائد الباطنية عَسُر فهْمُه، وكنز فكري ثمين أغلقت الأبواب دونه ، وتضاربت الآراء فيه، وتشعبت الأبحاث حوله، حتى أصبح مثاراً للجدل والتخمين بين العلماء والباحثين. ([2])

تاريخ ظهور إخوان الصفا:

هناك آراء متضاربة حول تاريخ ظهور إخوان الصفا، فهناك مواقف مختلفة لعدد من الباحثين، يرى أن ظهورهم كان في منتصف القرن الرابع الهجري([3]) ، ولعل منشأ هذا الخلاف يعود إلى شُحَّة الأخبار عن إخوان الصفاء، فرغم خطورة رسائلهم المتضمنة لعلوم شتى، وثقافة واسعة، وتبسيط لمعضلات الفلسفة .([4]) فلا نملك وثائق تؤكد وجودهم وهويتهم إلا رسائلهم فقد تتباين الفترة ما بين ظهور الرسائل ونشاط اخوان الصفا، لذلك نجد أن الآراء متباينة في هذا الصدد، فالقفطي اعتمد في تحديد فترة ظهورهم استناداً إلى اشخاص جماعتهم، معتمداً زمن الحوار الذي دار بين ابن سعدان([5]) وأبي حيان سنة (٣٧٣هـ/ ٩٨٣م) أي بعد تولي ابن سعدان الوزارة للأمير البويهي صمصام الدول ، وكان "زيد بن رفاعة" آنذاك حياً، ويبدو أن أبا حيان كان أصغر سناً من زيد، فكان ينسخ له الكتب ويحضر مجلسه واستمرت علاقته به

---

[1] – انظر: الفرق بين الفرق (ص ٢٨١)، والفصل في الملل والأهواء والنحل (٥/ ٩٨).

[2] – عارف ثامر، تحقيق جامعة الجامعة، ط،٢ منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت –لبنان، ب.ت، ص٥

[3] – حجاب، محمد فريد، الفلسفة عند اخوان الصفا، تقديم:– عز الدين فودة، القاهرة، (١٩٨٢)، ص ٤٤

[4] – الدسوقي، عمر، إخوان الصفا، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ١٩٤٧م، ص٤

[5] – – أبو عبد الله الحـ سين بن احمد بن سعدان كان وزيراً لـ صمـ صام الدولة بن عـ ضد الدولة البويهي والذي استوزر عندما استلم السلطة عضد الدولة بعد وفاة ابيه سنة) ٣٧٣هـ/ ٩٨٣م)وسجنه بعد إيقاع أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف به ثم قتله سنة)٣٧٥هـ ـ ـ ـ٩٨٥/م التوحيدي، ب ، ت ، ج،١ المقدمة .(٢).

وتوطدت، وكان مولد أبي حيان(سنة ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، أما "زيد بن رفاعة" فولد في أواخر العقد العاشر من القرن الثالث أو مستهل القرن الرابع الهجري، وذهب إلى البصرة وأقام فيها وظهر تمكنه العلمي وصادف بها جماعة من أساطين العلم"([1])، وذكر الصفدي في كتابه (الوافي بالوفيات)أن الرسائل كان بعض علماء الفاطميين في مصر يضعها فيجدها العامة ملقاة رسالة بعد أخرى في جامع عمرو بن العاص وهي فلسفة العوام حسب رأيه) ([2]). وفي كتاب" جماعة إخوان الصفا" أن ظهور جماعة إخوان الصفا هو في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، ثم بدأ التأليف في مواضيع الكتاب بشكل رسائل واستغرق ذلك عدة سنوات([3]). ونجد رأياً آخر يتجه ويوضح ظهور إخوان الصفا بعد وفاة الفارابي(ت: ٣٣٩هـ/٩٥٠م)، وهذا الرأي يقول :" لم يكد يمضي على موت الفارابي ثلاثون سنة حتى هبَّ جماعة من صفوة علماء العصر وخاصة حكمائه الذين أحاطوا بنظريات الأقدمين من فلاسفة الإغريق والهند وفارس وقتلوها بحثاً وتمحيصاً وهضموا براهينها واعتراضاتها... وقد أطلقوا على انفسهم إخوان الصفا وخلان الوفا"([4]) ، ويبدو هذا الرواية آنفة الذكر تعطي دلالة واضحة على

---

[1] – القفطي، أبو الحسن علي بن يوسف)٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، تصحيح–: محمد امين الخانجي) القاهرة ١٩٠٨

[2] – الصفدي، صالح الدين خليل (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، تحقيق–: احمد أرناؤوط، وتركي مصطفى، ط،١ دار احياء
التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠، ج١٥، ص ٢٠.

[3] – فؤاد مع صوم، إخوان الـ صفا فلـ سفتهم وغايتهم، ط،١ دار المدى للثقافة والنـ شر، دمـ شق، ١٩٨٨(ص٦٤)

[4] –مـ صطفى غالب، في رحاب إخوان الـ صفا وخلان الوفا، منـ شورات دار ومكتبة الهلال) بيروت، ١٩٨٩، ص ٨٧.

أن ظهور اخوان الصفا كان في النصف الثاني من القرن الرابع([1]) . وهناك من يرى أن فترة ظهور إخوان الصفا ترجع إلى القرن الثالث الهجري ومن ثم رسائلهم([2]).

ونستنتج من ذلك أن الاختلاف في تحديد ظهور جماعة إخوان الصفا، سواء اقترن ظهورها الحقيقي بظهور رسائلها أو اقتصر على مدة ظهور أصحابها كأشخاص، فإن القرن الرابع الهجري هو التاريخ المتعارف عليه والأكثر شيوعاً وقبولاً عند الباحثين([3]).

مضمون الرسائل

تَصدَّت نصوص الرسائل والرسالة الجامعة لجميع فروع المعرفة والعمل، وألمت بالمعطيات العلمية والفلسفية والدينية الذائعة في عصر أصحابها، فبدَتْ جملتها في إهاب موسوعة شاملة تضم فنون الأدب وغرائب العلوم وطرائف الحكم وقد جعلها المؤلفون في **أربعة أقسام:**

القسم الأول: يشتمل على الرسائل الرياضية التعليمية. وهي تتناول موضوعات العدد، والهندسة، والنجوم، والجغرافية، والموسيقى، والنسب العددية والصنائع العلمية النظرية، والصنائع العملية والأخلاق، كما تبحث موضوعات منطقية مثل ايساغوجي، والمقولات، والعبارة والقياس والبرهان.

والقسم الثاني: يشتمل على الرسائل الجسمانية الطبيعية. ويعالج موضوعات الهيولى والمادة، والسماء والعالم، والكون والفساد، والآثار العلوية، وتكوين المعادن، وأجناس النبات، وتكوين الحيوانات وأصنافها، وماهية الطبيعة، وتركيب الجسد، والحاس والمحسوس، ومسقط النطفة، وأن الإنسان عالم صغير، ونشوء الأنفس الجزئية، وطاقة الإنسان في المعارف، وحكمة الموت والحياة، وخاصية اللذات، وعلل اختلاف اللغات، ورسوم الخطوط والعبارات.

---

[1] – رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا دراسة منهجية، ج،٤ ص ٤٨.

[2] – الفلسفة عند إخوان الصفا، حجاب، ص١٦.

[3] – رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا دراسة منهجية، ج،٤ ص ٤٨.

والقسم الثالث: يشتمل على الرسائل النفسانية العقلية. ويبحث في المبادئ العقلية على رأي الفيثاغوريين، والمبادئ العقلية على رأي إخوان الصفاء، ومعنى قول الحكماء أن العالم إنسان كبير، والعقل والمعقول، والأكوار والأدوار، وماهية العشق، وماهية العبث، وكمية أجناس الحركات، والعلل والمعلولات، والحدود والرسوم.

والقسم الرابع: يشتمل على الرسائل الناموسية الإلهية. وهي تتناول الآراء والمذاهب، وماهية الطريق إلى الله، وبيان اعتقاد إخوان الصفاء، وكيفية عشرتهم، وماهية الإيمان وخصال المؤمنين المحققين، وماهية الناموس الإلهي والوضع الشرعي، وكيفية الدعوة إلى الله، وكيفية أفعال الروحانيين، وكمية أنواع السياسات، وكيفية نضد العالم بأسره، وماهية السحر والعزائم.([1]) .

---

[1] -إخوان الصفا، الموسوعة العربية، من موقع -https://arab ency.com.sy/ency/details/١٤٩٧/١

المبحث الثالث: هُويَّة إخوان الصفا ومصادر التلقي عندهم

الهُويَّة: هي الحقيقة الجزئية حيث قالوا الحقيقة الجزئية تسمى هوية ([1])، معنى هذا أننا نبحث عن حقيقة مذهبهم. وقد اختلف الباحثون في تحديد هويتهم، فمن الباحثين من يعزوهم إلى الفلسفة، ومن قائل بأنهم أقرب إلى المعتزلة، أو إلى الشيعة الإمامية، وآراؤهم من خلال اطلاعهم على رسائل إخوان الصفا على النحو التالي:

أولاً: المصدر الإسلامي وأوجه التلفيق فيه:

يستشهد إخوان الصفا في رسائلهم في كثير من المواقع بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، لكنهم لا يرون للنص الإسلامي أولوية ولا هيمنة، وإنما يرونه مساوياً في الحقيقة لأقوال الفلاسفة، إن لم يكن متأخراً عندهم، لأنهم يؤولون النص الشرعي ليوافق المعنى الفلسفي، ويستشهدون بالنص الشرعي لتعضيد كلام الفلاسفة. حيث يؤكد الإخوان في كل مكان من رسائلهم ضرورة الالتزام بأحكام الشريعة الإسلامية، لا يسقطون منها حرفًا، وهم الأولى بها من غيرهم:«واعلم أيها الأخ أن جماعة إخوان الصفاء أحق الناس بالعبادة الشرعية ومراعاة أوقاتها وأداء فروضها ومعرفة تحليلها وتحريمها؛ لأنَّا أخص الناس بها وأَوْلاهم بحملها وأقرب الناس إلى من جاءت على يديه وأولاهم به»([2])، ولكن الدين الإسلامي لا يُختصر إلى أوامر ونواهي الشريعة، بل له جانب فلسفي يحثُّ الإنسان على معرفة نفسه ومعرفة ربه حق المعرفة، والارتقاء من رتبة الحيوانية إلى الرتبة الملائكية على طول طريق الارتقاء الصاعد نحو ملكوت السماوات. وهنا يأتي دور الفلسفة التي تنير لنا هذا الجانب الآخر من الدين وتعيننا على فهمه. إن غرض الأنبياء والفلاسفة واحد، وهو طب النفوس وعونها على النجاة: «واعلم بأن غرض الأنبياء، عليهم السلام، وواضعي النواميس الإلهية

---

[1] – د ستور العلماء = جامع العلوم في ا صطلاحات الفنون، المؤلف: القا ضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفى: ق ١٢هـ)

عرب عباراته الفار سية: ح سن هاني فحص، النا شر: دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، ٣|٣٣٠.

[2] –رسائل إخوان الصفا، (٥٠: ٤، ٢٦٨)

[من الفلاسفة والحكماء] أجمع، غرض واحد وقصد واحد، وإن اختلفت شرائعهم وسنن مفترضاتهم، وأزمان عباداتهم، وأماكن بيوتاتهم، وقرابينهم وصلواتهم، كما أن غرض الأطباء كلهم غرض واحد ومقصد واحد في حفظ الصحة الموجودة واسترجاع الصحة المفقودة، وإن اختلفت علاجاتهم ... وذلك أن غرض الأطباء كلهم هو اكتساب الصحة للمريض وحفظها على الأصحاء، ودفع الأمراض وإزالتها عن المرضى. فهكذا غرض الأنبياء، عليهم السلام، وغرض جميع واضعي النواميس الإلهية من الفلاسفة والحكماء. وذلك أنهم أطباء النفوس، وغرضهم هو نجاة النفوس الغريقة في بحر الهيولى، وإخراجها من هاوية عالم الكون والفساد، وإيصالها إلى الجنة عالم الأفلاك وسعة السماوات، ذلك بتذكيرها ما قد نسيت من مبدئها ومعادها» ([1]). كما جاء في الرسائل ما يفيد أن الشريعة وضعت لتهذيب طباع البشر فيقولون: " الغرض من النبوة والناموس، هو تهذيب النفس الإنسانية وإصلاحها وتخليصها من جهنم عالم الكون والفساد، وإيصالها إلى الجنة ونعيم أهلها في فسحة عالم الأفلاك وسعة السماوات، والتنسم من ذلك الروح والريحان المذكور في القرآن. فهذا هو المقصود من العلوم الحكمية والشريعة النبوية جميعًا. وأما اختلافهما في الطرق المؤدية إليها، فمن أجل الطبائع المختلفة والأعراض المتغايرة التي عرضت للنفوس. وبذلك اختلفت موضوعات النواميس وسنن الديانات ومفروضات الشرائع، كما اختلفت عقاقير الأطباء وعلاجاتها بحسب اختلاف الأمراض» ([2]).

ثانيا: المصدر الباطني:

يرى صاحب كتاب ((الباطنية وموقف الإسلام منهم)) أن إخوان الصفا جماعة سرية باطنية، مزجت الفلسفة الإغريقية والعقيدة الباطنية ببعض المبادئ الإسلامية.ونتيجة لذلك؛ فهي أُولَى ثمار الحركة الباطنية التي استغلت التشيع والتصوف الفلسفي وجعلت من ذلك ستاراً؛ لنشر رسائلها وأفكارها الهدَّامة بأسلوب متلوِّن غير صريح وغامض؛

---

[1] –رسائل إخوان الصفا، (٢٠: ٢، ١٤١).

[2] – رسائل إخوان الصفا، (٢٨: ٣، ٣٠).

حيث جمجموا [لم يُبَيّن كلامه] ولم يفصحوا للتلبيس على الأتباع. ولذلك خفي أمرهم على كثير من الناس حتى في عصرنا هذا، وأصبحوا لغزاً مبهَماً في التاريخ الإسلامي، واختلف الباحثون والعلماء في تصنيفهم، إلا القليل من العلماء النقَّاد المحققين الذين كشفوا عن هويتهم وأهدافهم، وعن فحوى رسائلهم ([1]).

يعرِّفهم ابن تيمية بقوله: " كانوا من الصابئة المتفلسفة المتحنِّفة؛ جمعوا – بزعمهم – بين دين الصابئة المبدِّلين وبين الحنيفية، وأتوا بكلام المتفلسفة وبأشياء من الشريعة..."([2])، وقال الذهبي حين ترجم لأبي حامد الغزالي في كتاب السِّيَر: " وحُبِّبَ إليه إدمان النظر في كتاب (رسائل إخوان الصفا) وهو داء عضال، وجَرَبٌ مُرْدٍ، وسُمٌّ قاتل، ولولا أن أبا حامد من كبار الأذكياء لتَلَف "([3]). وبناء عليه فانتماؤهم الفكري خليط ومزيج من المبادئ العامة التي بنى عليها إخوان الصفا نظرياتهم مقتبَسة من الديانات المختلفة (موحِّدة ومجوسية) جاهدين في التوفيق بينها كلها. وقد انتهت بهم نزعتهم التلفيقية هذه إلى أن يَرَوا في جميع المذاهب الفلسفية والوثنية والموحدية مذهباً واحداً يوفِّق بين جوهر الأديان، ولهذا قالوا: " الرجل الكامل يكون فارسي النسب، عربي الدين، عراقي الأدب، عبراني المخبَر، مسيحي المنهج، شامي النسك، يوناني العلم، هندي البصيرة، صوفي السيرة، ملَكيَّ الأخلاق "([4])

يعتمدون على علم الأعداد والحركات والحروف وعلم الجفر الذي تعتمده الفرق الباطنية والشيعية. تتخلل ثنائية الظاهر والباطن رسائل الإخوان من أولها إلى آخرها، وكل ما في الوجود له ظاهر وباطن بما في ذلك الإنسان الذي يمتلك جسداً ظاهراً ونفساً خفية:«اعلم يا أخي، أيدك الله وإيانا بروح منه، بأن الإنسان لما كان هو جملة مجموعة

---

[1] –(الباطنية وموقف الإسلام منهم)، د جميل أبو العلاء، دار المعارف بمصر، وكذلك (فضائح الباطنية) لأبي حامد الغزالي، تحقيق: محمد قطب، نشر: المكتبة العربية بيروت.

[2] –مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، : ٤ / ٧٩.

[3] –سيَر أعلام النبلاء، الذهبي: ١٩ / ٣٢٨.

[4] –رسائل إخوان الصفا: ٤ / ٢٤٠.

من جسد جسماني ونفس روحانية، وهما جوهران متباينان في الصفات، متضادان في الأحوال، ومشتركان في الأفعال العارضة والصفات الزائلة، صار الإنسان من أجل جسده الجسماني مريداً للبقاء في الدنيا متمنيًا الخلود فيها، ومن أجل نفسه الروحانية صار طالبًا للدار الآخرة متمنيًا للبلوغ إليها. وهكذا أكثر أمور الإنسان وتصرُّف أحواله مثنوية متضادة، كالحياة والممات والنوم واليقظة والعلم والجهالة»([1])، ويبرهن إخوان الصفا على اشتمال الشريعة على ظاهر وباطن بقولهم:" فلما كان الإنسان هو جملة مركبة من جسد جسماني ظاهر جَلي، ومن نفس روحانية باطنة خفية، صارت أحكام الدين والإسلام وحدود الشريعة على وجهين ظاهر وباطن. والظاهر هو أعمال الجوارح، والباطن هو اعتقادات الأسرار في الضمائر، وهو الأصل، كما قال، عليه السلام: الأعمال بالنيَّات، ولكل امرئ ما نوى»([2]). وجميع الموجودات في نظر إخوان الصفا لها ظاهر ولها باطن، يقولون:" «فاعلم يا أخي بأن لكل شيء من الموجودات في هذا العالم ظاهراً وباطنًا. وظواهر الأمور قشور وعظام، وبواطنها لب ومخ، وأن الناموس هو أحد الأشياء الموجودة في هذا العالم منذ كان الناس، وله أحكام وحدود ظاهرة بينة يعلمها أهل الشريعة وعلماء أحكامها من الخاص والعام، ولأحكامه وحدوده أسرار وبواطن لا يعرفها إلا الخواص منهم والراسخون في العلم» ([3]). والدين في زعمهم له ظاهر يمارسه البعض رياء وسمعة، وله باطن، يقوم به من يريد الله والدار الآخرة، جاء في الرسائل: «واعلم أن الله تعالى جعل الدين طريقًا من الدنيا إلى الآخرة، وجعل في قوام الدين صلاحًا للدنيا والآخرة جميعًا. وذلك أن الدين له ظاهر وباطن وقوامه بها جميعًا. فمن الناس من لا يريد بتمسكه بالدين إلا صلاح الدنيا ومنافعها، فيحرص في أحكام الدين وشريعته من الصلاة والصوم وما شاكلهما، ويرائي الناس وبذلك يطلب منافع الدنيا، فيكون في حفظه أحكام الدين قوام له، كما قيل: إن الله ينصر هذا الدين بأقوام

---

[1] -رسائل إخوان الصفا، (٧: ١، ٢٥٩).

[2] -رسائل إخوان الصفا، (٤٢: ٣، ٤٨٦).

[3] -رسائل إخوان الصفا، (٩: ١، ٣٢٨).

لا خلاق لهم. ومن الناس من يريد الدنيا لطلب الآخرة وصلاح المعاد، فهم يزهدون في الدنيا ويتركون الشرور، ويؤدون الأمانات سرًّا وإعلانًا، ويعاملون الناس بالصدق، وفي ذلك صلاح أمر الدنيا والآخرة جميعًا»([1])

ثالثاً: المصدر الفلسفي:

يستشهدون بأقوال فلاسفة اليونان، ذلك أن إخوان الصفا كانوا يأخذون بالنمط البسيط وهو شرح الحقائق الدينية المجملة بالآراء الفلسفية التي من شأنها أن تكون مفضلة، ومن إحدى ركائز إخوان الصفا في بنيتهم المعرفية هي مزج الدين بالفلسفة، فتراهم يأتون بشواهد من أقوال الفلاسفة والحكماء، بجانب الشواهد من أقوال الرسل والأنبياء، ما حدا بعض الباحثين إلى نعتهم بأنهم: أنهم جماعة تنويرية فلسفية ضمت المثقفين والمستنيرين من كل المذاهب، ويعلل إخوان الصفاء هذا "بأن الشريعة قد دنست بالجهالات، واختلطت بالضلالات، ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة؛ لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية، فمتى انتظمت الفلسفة الاجتهادية اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال"([2])، ويرى إخوان الصفا أنه ليس هناك تعارض بين الدين والفلسفة إلا من قبيل قصور فَهم بعض أهل العلوم الحكمية والعلوم الشرعية:«ثم اعلم أن الحكماء الأولين قد تكلمت في فنون من العلوم، وضروب من الآداب وغرائب من الحكم كثيرة لا يحصي عددها إلا الله . وقوم من العلماء الشرعيين ينكرون أكثره، إما لقصور فهمهم عمَّا وصف القوم، أو لتركهم النظر فيها واشتغال بعلم الشرع وأحكامه، أو لعناد بينهما. وكذلك أيضًا إن أكثر من ينظر في العلوم الحكمية، من المبتدئين فيها والمتوسطين من بينهم، يتهاونون بأمر الناموس وأحكام الشريعة ويزرون بأهله، ويأنفون من الدخول تحت أحكامه إلا خوفًا وكرهًا من قوة المُلك الذي هو أخو النبوة. كل ذلك لقصور فهم الفريقين جميعًا عن معرفة حقائق هذه الأشياء المذكورة، ولقلة علمهم بماهيات الكائنات. ولما كان مذهب إخواننا الفضلاء الكرام النظر

---

[1] – رسائل إخوان الصفا، (٤٢: ٣، ٤٩٢).

[2] – التوحيدي، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة، مكتبة الحياة للطباعة والنشر، صححه وضبطه: أحمد أمين وآخرون، ج٢، ص : ٥٠.

فيها جميعًا والكشف عن حقائق أشيائها، أعني العلوم الحكمية والنبوية جميعًا، وكان هذا العلم بحرًا واسعًا وميدانًا طويلًا، احتجنا أن نتكلم فيما دعت الضرورة إلى عمل هذه الرسائل التي هي إحدى وخمسون رسالة، والكلام فيها بأوجز ما يمكن»([1])، وبلغ بهم أمر أن زعموا أن نفوس الفلاسفة من طينة نفوس الأنبياء، وهي أكثر قبولًا لفيض النفس الكلية من بقية النفوس:«واعلم أن من الأنفس الجزئية ما يتصور بصورة النفس الكلية، ومنها ما يقاربها، وذلك بحسب قبولها ما يفيض عليها من العلوم والمعارف والأخلاق الجميلة. وكلما كانت أكثر قبولًا كانت أفضل وأشرف من سائر أبناء جنسها، مثل نفوس الأنبياء عليهم السلام، فإنها لما قبلت بصفاء جوهرها الفيض من النفس الكلية أتت بالكتب الإلهية. وما وضعت من الشرائع العلمية النافعة للكل، والسنن العادلة الزكية، فاستنقذوا بها نفوسًا كثيرة غريقة في بحر الهيولى وأسر الطبيعة. ومثل نفوس المحققين من الحكماء، التي استنبطت علومًا كثيرة حقيقية، واستخرجت صنائع بديعة، وبنت هياكل حكيمة. وإلى مثل هذه النفوس أشاروا بقولهم: " من خاصية العقل المنفعل أن يقبل الجزء منه صورة الكل»([2]). من هنا فإن الفلسفة لا تتفق مع الدين فقط، بل إنها تساعد على فهم النص المقدس نفسه، وتفسير آياته، والكشف عن أسراره:"إن نعمة الله تعالى على عباده جمة لا تفنى، ومواهبه كثيرة لا تُحصى، ولكن يتفاضل بعضها بعضًا بحسب جزالتها وغزارتها. فمن مواهب الله الجزيلة وعطاياه الجميلة لبعض عباده، التي خص بها قومًا دون قوم، هي الحكمة البالغة كما ذكر بقوله: " وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا "([3])يعني به علم القرآن خاصة، وتفسير آياته ومعاني أسراره وإشاراته اللطيفة ، حيث يفسر قوم آيات الله على خلاف ما هو معناه، كما فسَّروا الاستواء بالجلوس والتمكن على العرش، وفسروا الرؤية بالنظر إلى الجسم المـُشار إليه، وبالسمع والبصر فسَّروا الأعضاء الإلهية، وفسروا الكلام بالنطق

---

[1] -رسائل إخوان الصفا، (٢٨: ٣، ٢٩).

[2] - رسائل إخوان الصفا، (١٥: ٢، ١٠).

[3] -سورة البقرة، آية ٢٦٩.

والحروف، وبالنزول الانتقال من السماء السابعة إلى السماء الدنيا، وغير ذلك من الآيات التي لا يعرف تأويلها إلا الله والراسخون في العلم، وهؤلاء هم الذين يعلمون ويعرفون تأويل آياته وأسراره. ويقولون: " آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا " فهذا قول الحكماء الربانيين والعلماء المتفلسفين.ثم اعلم أن لفظ الفيلسوف عند اليونانيين معناه الحكيم، والفلسفة تسمى الحكمة. والحكيم هو الذي أفعاله تكون محكمة وصناعته متقنة، وأقاويله صادقة، وأخلاقه جميلة، وآراؤه صحيحة، وأعماله زكية، وعلومه حقيقية...»([1]). قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: و"كتاب رسائل إخوان الصفا أصل مذهب القرامطة الفلاسفة، فربما نسبوا هذا الكتاب بالافتراء إلى جعفر الصادقرضي الله عنه، ليجعلوه ميراثاً عن أهل البيت رضي الله عنهم. قال: وهذا من أقبحِ الكذب وأوضحِه، فإنه لا نزاع بين العقلاء أن رسائل إخوان الصفا إنما صُنفت بعد المائة الثالثة في دولة (بني بويه)، قريباً من بناء القاهرة المعزية. ودولة العبيدية الحاكمية المنتسبين لأهل البيت الملقبين بالفاطمية من هذا النمط"([2])، وانتصر لهذا الرأي (صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ) فقال: " ورسائل إخوان الصفا وهي على ما في (كشف الظنون) و (شرح عقيدة السفاريني) إحدى وخمسون رسالة وهي أصل مذهب القرامطة وربما نسبوها إلى جعفر الصادق رضي الله عنه ترويجاً، وقد صنفت بعد المائة الثالثة في دولة "بني بويه " أملاها أبو سليمان محمد بن نصر البُسْتي المعروف بالمقدسي، وأبو الحسن علي بن هارون الزنجاني، وأبو أحمد النهرجوري، والعوقي يزيد بن رفاعة، كلهم حكماء اجتمعوا وصنفوا هذه الرسائل على طريق الفلسفة

---

[1] – رسائل إخوان الصفا، (٤٠: ٣، ٣٤٤-٣٤٥).

[2] –لوامع الأنوار البهية و سواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، المؤلف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ)، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، الطبعة: الثانية – ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م، ١|٨٥.

الخارجة عن مسلك الشريعة المطهرة" ([1])، كما نُسِب إليهم التوحيدي، والذي قيل عنه: " والتوحيدي أبو حيان يشبه أن يكون من إخوان الصفا الباطنيين، أو من أتباع الإسماعيليين فإنه يردد آراءهم في كتبه، وهذه الآراء شرٌ محضٌ، وفلسفة صِرفة" ([2]) ودلَّل ابن تيمية على ذلك بانتماء ابن سينا للفلاسفة الذين مهدوا السبيل لإخوان الصفا فقال:" قال ابن سينا وبسبب ذلك دخلت في الفلسفة كما كان أصحاب رسائل إخوان الصفا من الموافقين لهم وصنفت الرسائل على طريقتهم"([3]) .

وذكر الدكتور (صالح الرقب): " إن إخوان الصفا ينادون بوحدة الوجود، وهي مذهب فلسفي لا ديني، يقول بأن الله والطبيعة حقيقة واحدة، وأن الله هو الوجود الحق، ويعتبرونه- تعالى عما يقولون علواً كبيراً- صورة هذا العالم المخلوق، أما مجموع المظاهر المادية فهي تعلن عن وجود الله، دون أن يكون لها وجود قائم بذاته. والمذهب موجود في الفكر النصراني واليهودي أيضاً، وقد تأثر المنادون بهذا الفكر بالعناصر التي أدخلها إخوان الصفا من المذاهب الأغريقية والنصرانية والفارسية الأصل، ومنها: المذهب المانوي، والمذهب الزرادشتي، وفلسفة فيلون اليهودي وفلسفة الرواقيين"([4]). وكانوا يجتمعون سراًّ ويتباحثون في الفلسفة على أنواعها حتى صار لهم فيها مذهب

---

[1] -توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن عبد الله بن عيسى (المتوفى: ١٣٢٧هـ)، المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثالثة،١|٢٤٨.

[2] -هذه مفاهيمنا، المؤلف: صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الـ شيخ، النا شر: إدارة المساجد والمشاريع الخيرية الرياض الطبعة: الثانية ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ٢٥٠.

[3] - درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لـ صريح المعقول، المؤلف: تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، ٥|١٠ .

[4] - درا سات في التـ صوف والفلـ سفة الإ سلامية، تأليف: الدكتور صالح الرقب- الدكتور محمود الشوبكي، قسم العقيدة- كلية أصول الدين الجامعة الإسلامية- غزة، الطبعة الأولى١٤٢٧هـ - -، ٢٠٠٦ م، ص ٥٦.

خاص هو خلاصة أبحاث فلاسفة الإسلام، بعد اطلاعهم على آراء اليونان والفرس والهند، وتعديلها على ما يقتضيه الإسلام. ([1])

ويتبنى الدكتور محمود اسماعيل هذا الرأي فيقول:" لم تكن حركة مذهبية بل فكرية تستهدف تحقيق التنوير لإذكاء الوعي السياسي عن طريق المعرفة، لذلك انضم اليها المستنيرون من سائر المذاهب والفرق، كذا من رجال الدولة وكبار التجار والفقهاء والعلماء وأرباب الأموال الذين راعهم التدهور السياسي والاقتصادي والفكري خلال القرن الأول من العصر العباسي الثاني"([2])، وقد دَوَّنُوا فلسفتهم هذه في اثنتين وخمسين رسالة، سمَّوها رسائل «إخوان الصفا» وكتموا أسماءهم، وهي تمثل الفلسفة الإسلامية على ما كانت عليه في إبَّان نُضْجِها، وتشمل النظر في مبادئ الموجودات وأصول الكائنات إلى نضد العالم فالهيولى والصورة وماهية الطبيعة والأرض والسماء ووجه الأرض وتغيراته، والكون والفساد والآثار العلوية والسماء والعالم وعلم النجوم وتكوين المعادن، وعلم النبات وأوصاف الحيوان ومسقط النطفة وكيفية رباط الناس بها، وتركيب الجسد والحاس والمحسوس والعقل والمعقول والصناعات العلمية والعملية، والعدد وخواصه والهندسة والموسيقى والمنطق وفروعه واختلاف الأخلاق وطبيعة العدد، وأن العالم إنسان كبير والإنسان عالم صغير (وهذه هي نظرية «هربرت سبنسر» في علم الاجتماع) والأكوار والأدوار وماهية العشق والبعث والنشور وأجناس الحركات والعلل والمعلولات والحدود والرسوم، وبالجملة فقد ضمنوها كل علم طبيعي أو رياضي أو فلسفي أو إلهي عقلي([3]).

---

[1] – تاريخ فلاسفة الإسلام: دراسة شاملة عن حياتهم وأعمالهم ونقد تحليلي عن آرائهم الفلسفية، مؤسسة هنداوي/https://www.hindawi.org/books ٩/٤٠٩٤٨١٩٣/

[2] –اسماعيل، محمود، نهاية أسطورة ، المنصورة ١٩٩٦، ص ١٩.

[3] – تاريخ فلاسفة الإسلام: دراسة شاملة عن حياتهم وأعمالهم ونقد تحليلي عن آرائهم الفلسفية

المبحث الرابع : انتماء إخوان الصفا

أما عن انتماء إخوان الصفا وهويتهم فينقسم بدوره إلى اتجاهات عدة:-

الاتجاه الأول: انتماؤهم إلى المعتزلة:

ويذهب أنصار هذا الاتجاه إلى القول بأن جماعة إخوان الصفا يمثلون مرحلة متقدمة من مراحل تطور الفكر الاعتزالي المتأخر، وأن مذهبهم مذهب أخلاقي إنساني وتعاوني اشتراكي مثالي، فاسم جماعة إخوان الصفا الكامل يشير هو ذاته في عبارتيه الأخيرتين إلى أنهم «أهل العدل، وأبناء الحمد.«ولا يخفى أن «أهل العدل» من تسميات المعتزلة، وأن مبدأ العدل ركن أساس من أركان الاعتزال، وأهله العقلانيون هم المحمودون في نظر الإخوان، لأن الناظم العقلي هو الرباط الإنساني الوحيد الذي يجعل إخوان الصفاء يتجاوزون كلامية المعتزلة السابقين إلى الشمولية الإنسانية للمعتزلة العقلانيين. ومن العلماء من يرى أن جماعة إخوان الصفا بدأت بالظهور في البصرة التي كانت عاصمة الإسلام في العلم، ومحطَّ رحال كثير من رجال الفرق والمذاهب، وفيها قامت المعتزلة من دعاة حرية الفكر([1]).

فهذا الاتجاه يرى أن الإخوان حركة معتزلية، وأن متكلمي المعتزلة هم الذين كتبوا رسائلهم، فالبعض اعتبرهم من أتباع المدرسة المعتزلية، حيث كان المعتزلة ومن جرى مجراهم يتناقلون هذه الرسائل ويتدارسونها ويحملونها معهم سرًّا إلى بلاد الإسلام، ولم تمض مائة سنة على كتابتها حتى دخلت بلاد الأندلس على يد أبي الحكم عمرو بن عبد الرحمن الكرماني القرطبي([2]).و"أبو الحكم" هذا عالمٌ من أهل قرطبة رحل إلى المشرق للتبحُّر في العلم، على ما جرت به عادة الأندلسيين، فلما عاد إلى بلاده حمل معه الرسائل المذكورة، وهو أول من أدخلها إلى الأندلس، فما لبثت أن انتشرت هناك حتى تناولها

---

[1] -حقيقة إخوان الصفا، عادل العوا، الأهالي للنشر والتوزيع، ط الأولى، ١٩٩٣، ص٦٥

[2] - أبو الحكم الكرماني (٣٦٨ - ٤٥٨ هـــــــ / ٩٧٨ - ١٠٦٦ م) هو جراح، عالم بالطب والهند سة، من أهل قرطبة.هو أبو الحكم عمرو بن عبد الرحمن بن أحمد الكرماني. نـ شأ في قرطبة (الزركلي، خير الدين (أيار ٢٠٠٢ م). الأعلام – ج ٥. بيروت: دار العلم للملايين. ص. ٨٠

أصحاب العقول البحاثة وأخذوا في درسها وتدبرها.وطبعت في (ليبزج) سنة ١٨٨٣م وفي (بومباي) سنة ١٨٨٦م، وفي مصر سنة ١٨٨٩م. ونقلت إلى الهندستانية وطبعت في لندن سنة ١٨٦١م. وهو استنتاج خاطئ، منها تبني إخوان الصفاء لعدة آراء تختلف جذرياً مع الأسس التي قامت عليها مدرسة الاعتزال، ولعل أهم هذه الاختلافات، رفضهم لعقيدة خلق القرآن التي نادي بها المعتزلة:" فمن ذلك قول القائلين بخلق القرآن، فإن هذا الحكم مبني على أن الكلام إنما هو حروف وأصوات يحدثها المتكلم في الهواء، فعلى هذا الأصل يجب أن يكون القرآن مخلوقاً. وأما على أصل من يرى أن الحروف والأصوات إنما هي سمات وآلات، والكلام إنما هو تلك المعاني في أفكار النفوس، فعلى هذا الأصل يجب أن يكون القرآن مخلوقاً، لأن الله تعالي لم يزل عالماً بتلك المعاني التي هي في علمه، وتلك المعاني لم تزل معلومة له([1])"، كما رفضوا آراء المعتزلة في موضوع الجبر والاختيار، وتبنَّوا رأياً وسطياً قالوا فيه: " ثم اعلم أن ليس أحد من المخلوقين بقادر على شيء من الأشياء ولا عمل من الأعمال إلا ما قدَّره الله تعالى عليه وقوَّاه ويسَّره له. واعلم أن إقدار الله القادرين، وتقويته الأقوياء، وتيسير الأمور ليس بمجبرٍ لأحد منهم على فعل من الأفعال ولا على عمل من الأعمال ولا تركه".([2]) على أننا وجدنا أن إخوان الصفا متأثرين بأغلب أصول المعتزلة، ففي مسألة التوحيد ينبني جوهر فلسفة التوحيد عند إخوان الصفا على تنزيه الله تعالى، وهذه الفكرة تقترب كثيراً من التوحيد عند المعتزلة ([3]). "ولم يقتصر التوحيد على المعتزلة، لأنه بمثابة الأساس الفكري والفلسفي لكل المذاهب الإسلامية، فالتوحيد فكر وفلسفة كل المذاهب

---

[1] – الرسائل،١٩٧٥ ج ،٣ ص ٥١٧

[2] – الرسائل،١٩٧٥ ج،٣ ص ٤٩٨.

[3] –الله عند المعتزلة واحد ليس في وجوده فقط، فقد أثبت المعتزلة لغير الله موجودات من المحدثات، ولكن الله واحد في صفاته التي يبتعد بها عن سائر الموجودات، وهو لديهم عالم وقادر بذاته إلى آخره من الصفات، والقول بالتثنية باطل، القاضي عبدالجبار، شرح الأصول الخمسة، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، ص ١٢.

الإسلامية" ([1])، (والدفاع عن التوحيد مهمة كل الفرق الإسلامية) ([2]). ولكن توحيد المعتزلة تفرد وتميز عن غيره. وشكَّل التوحيد أيضاً قمة رسائل إخوان الصفا، فجوهر فلسفة التوحيد والسياسة عند إخوان الصفا تنزيه الله، وهذه الفكرة تقترب كثيراً من التوحيد عند المعتزلة ([3]).

ويتفق إخوان الصفا مع المعتزلة في القول بوحدة الإمامة ويجيزون القول بوجود إمامين في وقت واحد خلافاً لما قالت به الزيدية من جواز خروج إمامين في وقت واحد، ويكون كل منهما واجب الطاعة، بل إن ظهور الأئمة في نظر إخوان الصفا يكون بالتتابع الواحد بعد الواحد في زمان بعد زمان ([4])، والله هو رئيس الرؤساء، ومالك الملوك، ورب الأرباب ومدبر الكل، وخالق الجميع ([5]). وكان العَدْل هدفاً سياسياً عند المعتزلة فبَنَتْ على هذا الأصل مسئولية الأفعال التي تلقى على الإنسان، وبذلك يكون الثواب والعقاب أمراً لا بد منه، وأيٌّ إنسان يعد مسئولاً عن أفعاله، حتى قيل:" ولو حَكّمَ العدلَ في أموره، وفيما بينه وبين خالقه، وبينه وبين إخوانه ومعامليه، لطاب عيشُه وخفّت مؤونته والمؤونة عليه، فإنّ الله تبارك وتعالى لم يخلق مذاقا أحلى من العدل، ولا أروح على القلوب من الإنصاف، ولا أمرّ من الظّلم، ولا أبشع من الجور.([6])

---

[1] –فلسفة السلطة بين المعتزلة وإخوان الصفا، د: سامية صادق سليمان، ص٦٧

[2] – مذهب المعتزلة من الكلام إلى الفلسفة، رشيد البندر، دار النبوغ، القاهرة، ط الأولى، ١٤١٥هـ –١٩٩٤م، ص ٥١.

[3] – الله عند المعتزلة واحد في ذاته وصفاته ....انظر: شرح الأصول الخمسة، القاضي عبدالجبار، مكتبة وهبة، القاهرة، ط الثانية١٤٠٨هـ–١٩٨٨م، ص ١٢٨.

[4] – راجع: إخوان الصفاء– الرسائل– جـ٢ – رسالة ،٢٢ ص ٢٣٨، ٢٤٢.

[5] – المصدر السابق: نفس الجزء والرسالة، ص ،٢٤٢ .٢٤٦

[6] –الرسائل الأدبية: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ) الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ، ص ١٠٣.

واتفقت المعتزلة على أن قضية حرية الإنسان هي الأساس في مسئولية الإنسان عن أفعاله، وهي لُبُّ مفهوم العَدْل، وقد حاولت المعتزلة أن تُوَطِّد هذا الأساس بقوة البرهان، وأن تستمد هذه القوة من خلال سُلطة العقل([1])، ويختلف مفهوم الاختيار عند المعتزلة عنه عند إخوان الصفاء، فلقد أخذ إخوان الصفا من أفكار المعتزلة بعضاً من أصولهم، وهذا يتضح من خلال رسائلهم، ومنها فكرة العَدل، والتوحيد، وليس أدل على ذلك من تسمية إخوان الصفا لأنفسهم أهل العَدْل الذي هو أصل من أصول الاعتزال، وقد سُمُّوا أيضاً بهذا الاسم، إلا أن فكرة النصِّ على الإمامة تَدْحَضُ فكرة حرية الاختيار التي هي أساس نظرية العَدْل عند المعتزلة ([2]).ومما يعزز نسبة إخوان الصفا إلى صف المعتزلة قولهم بمبدأ حق الأمة في تقرير المصير في اختيار رئيسها، من باب حرية الفكر والتعبير عن الرأي. قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: دخلت على أمير المؤمنين المعتصم بالله فقلت له: يا أمير المؤمنين، في اللسان عشر خصال: أداة يظهر بها البيان، وشاهد يخبر عن الضمير، وحاكم يفصل بين الخطاب، وناطق يردّ به الجواب، وشافع تدرك به الحاجة، وواصف تعرف به الأشياء، وواعظ يعرف به القبيح، ومعزّ يردّ به الأحزان، وخاصّة يزهى بالصّنيعة، وملهه يونق الأسماع.([3])

أما مفهوم إخوان الصفاء عن أفعال الله، فبينما ترى المعتزلة أن الله منزه عن فعل كل قبيح، يرى إخوان الصفا أن الخير ينسب إلى الله، ويفعله بعناية وقصد منه، أما الشَّر فهو عارض بالقصد الثاني، ومن ثم يميز الإخوان بين الخيرات التي هي بالقصد الأول، وبين الشَّرور التي هي بالقصد الثاني، ولـــكن يجمعها كلها إنها بقصد وعناية واقتضاء الحكمة ([4])، كما اتفقت المعتزلة مع إخوان الصفا في الوعد والوعيد، وتحدث

---

[1] – راجع: حـ سين مروة: النزعات المادية في الفَلْ َسفَة العربية الإ سلامية– الجزء الأول، ص– ٤١٤،٤١٦، وأيضاً د/ محمد عمارة: تيارات الفكر، ص ،٤٩ .٤٨

[2] – راجع: عز الدين فودة: مقدمة كتاب الفَلْسَفَة السياسية عند أخوان الصفاء ،٦٦. ٦٢

[3] – الرسائل الأدبية: عمرو بن بحر الجاحظ، ص ٣١٣.

[4] – راجع إخوان الصفاء: الرسائل – جـــ٦ الرسالة ،٤٢ ص ،٦٨٦. ٦٨٦

الإخوان في رسائلهم عن الوعيد، فرأوا أن هذه المسألة هي إحدى أمهات مسائل الخلاف بين المسلمين والعلماء، وذلك لأن منهم من يعتقد أنه واجب في حكم الله أن يفي بوعده ووعيده في إشارة إلى المعتزلة التي جوزت الخلف في الوعيد لأنه يدل على الرحمة والعفو، وهناك من يرى غير ذلك إلا أن الإخوان يرون أن الله إذا لْم يف بوعيده، فهذا من قبيل الرحمة، والجود، والـــكرم، والإحسان ([1]).وربط إخوان الصفا بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من جانب، والوعد والوعيد من جانب آخر، فمن رأيهم أن الناموس لا يتم إلا بالأوامر والنواهي، ولا يحقق الحاكم الأمر والنهي إلا بوعد ووعيد، حيث أن الأمر والنهي لا ينفذان إلا بالوعد والوعيد، والوعد والوعيد لا يتمكنان إلا بالترغيب والترهيب، والترغيب والترهيب لا ينجحان إلا مع من يخافون ويرجون، والخوف والرجاء لا يظهران ولا يعرفان إلا عند اتباع الأمر والنهي، فمن لا يخاف شيئاً ولا يرجو أملا ، فهو لا يرغب ولا يرهب، فلا ينجح فيه الوعد والوعيد، ولا ينجح فيه الأمر والنهي، ومن لا يأتمر لواضعي النواميس، ولا ينتهي عن نواهيهم، فلا يكون له نصيب في الناموس الإلهي " ([2]).وبذلك قصر إخوان الصفا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الأئمة، فلا ثقة إذن في آخر، ولا أمان لرأي الأمة في التَّصدي لأخطاء الحاكم، أو أطماعه. وتطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإمام أمر غير وارد عند الإخوان، لأن الإمام هو المنوط به أن يكون حجة الله على خلقه فلا يصدر الخطأ عن الإمام. وبهذا ظهر لنا التقارب النسبي بين أصول المعتزلة وبين فكر إخوان الصفا مما دفع بعض الباحثين إلى وصفهم بأنهم أقرب إلى الاعتزال.

الاتجاه الثاني: إخوان الصفا وفكرهم الإمامي الاثنا عشري:

ولا نستبعد العلاقة بين إخوان الصفا والشيعة، حيث يؤكد إخوان الصفا أن مذهبهم يستوعب المذاهب كلها، ويجمع العلوم كلها. وهذا يعني أنهم لا ينتمون فعلًا لأي مذهب إسلامي من المذاهب المعروفة، بل يشكلون فرقة إسلامية قائمة بذاتها: «وبالجملة

---

[1] -راجع: إخوان الصفاء: الرسائل- جـــ٦ – رسالة ٤٢، ص ٤١٣.

[2] -إخوان الصفاء: الرسائل- الجزء الرابع- الرسالة السادسة والأربعون، ص ٧٢.

ينبغي لإخواننا، أيدهم الله تعالى، أن لا يعادوا علماً من العلوم، أو يهجروا كتاباً من الكتب، ولا يتعصبوا على مذهب من المذاهب؛ لأن رأْيَنا ومذهبَنا يستغرق المذاهب كلها، ويجمع العلوم جميعها. وذلك أنه هو النظر في جميع المجودات بأسرها الحسية والعقلية، من أولها إلى آخرها، ظاهرها وباطنها، جليها وخفيها، بعين الحقيقة من حيث هي كلها من مبدأ واحد، وعلة واحدة، وعالم واحد، ونفس واحدة محيطة جواهرها المختلفة، وأجناسها المتباينة، وأنواعها المُفنَّنة، وجزئياتها المتغايرة»([1]) . كذلك لو رجعنا إلى نصوص رسائلهم، لوجدنا أن إخوان الصفا يظهرون النزعة الشيعية في القسم الرابع من مجموعة الرسائل، ويتجلى ميلهم هذا في كثير من المقاطع. إذ يصرحون بأسماء بعض الأئمة، ويحتجون بكلام الحسين([2]). وقد أقر إخوان الصفا على أنفسهم بالتشيع في أكثر من موضع من الرسائل، ومنها: (لكيما إذا نظر فيها إخواننا وسمع قراءتها أهل شيعتنا، فهموا بعض معانيها، وعرفوا حقيقة ما هم مقرون به من تفضيل أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، لأنهم خزان علم الله، ووارثو علم النبوة، تبين لهم تصديق ما يعتقدون فيهم من العلم والمعرفة والفهم والتمييز والبصيرة في الآفاق) ([3]).ويؤمن إخوان الصفا بوصية الإمام علي عليه السلام، وقد كشفوا عن عصبيتهم بكلام لا يحتمل التأويل والمجاز، فيصرحون بقولهم: " ومما يجمعنا وإياك أيها الأخ البار الرحيم محبة نبينا عليه السلام وأهل بيته الطاهرين وولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب خير الوصيين صلوات الله عليهم أجمعين" ([4]). كذلك يقولون:(واعلم أن لكل نفس من المؤمنين أبوين في عالم الأرواح، كما أن لأجسادهم أبوين في عالم الأجساد، ويستشهدون على ذلك بقول للنبي يخاطب به علي بن أبي طالب:" أنا وأنت يا علي أبَوَا هذه الأمة وهذه الأبوة روحانية لا جسمانية"([5]).

---

[1] -رسائل إخوان الصفا، (٤٥: ٤، ٤١-٤٢).

[2] -الرسائل : جـ ٤ : ص ٧١ الرسالة الأولى .

[3] -رسائل إخوان الصفا، (ج٤، ص ٤٢)

[4] -رسائل اخوان الصفا، ج،٤ ص.١٩٥

[5] -رسائل اخوان الصفا،ج،١ ص.٢١٣.

كما أنهم يشيرون في مكان آخر إلى كربلاء عند ذكرهم تعريض الأنبياء أجسامهم للهلاك في سبيل رسالتهم فيقول " ومما يدل على أن أهل البيت عليهم السلام كانوا يرون هذا الرأي تسليم أجسامهم إلى القتل يوم كربلاء وصبرهم على العطش والطعن والضرب. حتى فارقت نفوسهم أجسادهم، ورفعت إلى ملكوت السماء، ولقوا آباءهم الطاهرين محمداً وعلياً والمهاجرين والانصار ([1]). يرى أنصار هذا الاتجاه أن إخوان الصفاء جماعة شيعية، إلا أنه وجدت عدة اختلافات حول المذهب الشيعي الذي ينتمي إليه الإخوان، حيث يري البعض أنها جماعة الإمامية، وفي الواقع فإن كتابات المؤرخين القدامى فضلاً عن الدراسات والبحوث عن إخوان الصفا تؤكد على انتمائهم للشيعة بصفة عامة وهذا ما يستدل من رسائلهم إذ يقولون:" "وما يجمعنا وإياك أيها الأخ البار الرحيم محبة نبينا عليه السلام وأهل بيت نبيه الطاهرين، وولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب خير الوصيين صلوات الله عليهم أجمعين([2])" . ولا شك أن هذا النص يعطي إشارة واضحة إلى طبيعة انتمائهم المذهبي. فضلاً عن ذلك فإن توصياتهم ونصائحهم التي يبتغون فيها الارتقاء بالإنسان إلى المراتب العليا لكي يكون ملكاً من الملائكة، وذلك باتباع الأئمة الهادين والخلفاء الراشدين بعد الأنبياء والمرسلين إذ يقولون: "إنما ذهب على أكثر الناس المتفلسفين والباحثين عن حقائق الأشياء أسرار كتب الأنبياء عليهم السلام لتركهم البحث عنها وإعراضهم عن النظر فيها لقصور أفهامهم عن تصورها، لأنها مأخوذة معانيها من الملائكة الذين هم الملأ الأعلى أهل السماوات وسكان الأفلاك ، وأعيذك أيها الأخ الفاضل أن تكون من الذين يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون، الذين ذمهم الله عز وجل ، لأنهم لم يكونوا يفهمون هذه المعاني المذكورة في الكتب النبوية التي اليها نشير في رسائلنا، واليها ندعو إخواننا أعزهم الله حيث كانوا في البلاد ، وهو دين النبيين ومذهب الربانيين والأحبار الذين استحفظوا في كتاب الله من الأسرار المكنونة التي لا يمسها إلا المطهرون، وهم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم

---

[1] -الرسائل : جـ ٤ : ص ٩٨ الرسالة الثالثة .

[2] - إخوان الصفا ٢٠١٧ ص٤١٢..

تطهيرا" ([1])، ومن خلال التأمل في هذا النص تبدو توجهات إخوان الصفا الفكرية وتمسكهم بأهل البيت. ولا يخفى أن في رسائلهم تفضيلاً لأهل البيت إذ يقولون: "لكيما إذا نظر فيها إخواننا وسمع قراءتها أهل شيعتنا فهموا بعض معانيها، وعرفوا حقيقة ما هم مقرون به من تفضيل أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، لأنهم خُزَّانُ علم الله، ووارثو علم النبوات، وتبين لهم صدق ما يعتقدون فيهم من العلم والمعرفة والفهم والتمييز والبصيرة في الآفاق([2])" .

كما نجد في رسائلهم الكثير من أفكار التشيع الواضح مثل قولهم بفكرة التبنِّي الروحي أو الأبوة الروحانية إذ يقولون "إن لكل نفس من المؤمنين أبوين في عالم الأرواح. كما أن لأجسادهم أبوين في عالم الأجساد" ويستشهدون بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعليّ: "أنا وأنت يا عليّ أبَوَا هذه الأمة" ([3]). إن عقيدة إخوان الصفا في رسائلهم بشكل عام تتفق وتعاليم فكرهم الشيعي، فإخوان الصفا يؤيدون أئمة آل البيت في مواقفهم من أعدائهم إذ هم في نظرهم شهداء مطهرون استشهدوا في سبيل عقيدتهم القائمة على العقل) ([4]). كانت هذه أدلة من قال إن المذهب الذي ينتمي إليه إخوان الصفا هو الشيعة الإمامية الاثنا عشرية. إلا أن الانتقادات التي وجهها إخوان الصفا للشيعة الإمامية في رسائلهم سواء في العقائد أو في الممارسات تضعف تماماً من صحة هذا الرأي، فقد انتقد إخوان الصفا عقيدة غيبة الإمام المهدي، ووصفوهم بالسلبية والتكسب من التشيع:" ومن الناس طائفة قد جعلت من التشيع مكسباً لها، مثل النائحة والقُصَّاص لا يعرفون من التشيع إلا التبرِّي، والشتم، والطعن، واللعنة، والبكاء مع النائحة، وحب المتدينين بالتشيع. وجعلوا شعارهم لزوم المشاهد وزيارة القبور، كالنساء الثواكل، يبكون على فقدان أجسادنا وهم بالبكاء على أنفسهم أولى. ومن الشيعة

---

[1] -إخوان الصفا، ص ٢٠١.

[2] -إخوان الصفا، ٢٠١٧، ص ٢٤٧.

[3] - إخوان الصفا، ٢٠١٧، ص ٢٤٦.

[4] - الوجود عند اخوان الصفا، أحمد عبدالله، الاسكندرية: دار الرائد للنشر والتوزيع، ١٩٨٣م، ص ٥٤.

من يقول إن الأئمة يسمعون النداء ويجيبون الدعاء، ولا يدرون ما يقرون به وصحة ما يعتقدونه.ومنهم من يقول إن الإمام المنتظر مختفي من خوف المخالفين، كلا بل هو ظاهر بين ظهرانيهم يعرفهم وهم له منكرون "([1])، يقولون حول عقيدة الغيبة، في مناقشتهم للاعتقادات المؤلمة لنفوس معتقديها:". وهكذا أيضاً حكم من يري ويعتقد أن الإمام الفاضل المنتظر الهادي مختفي لا يظهر من خوف المخالفين. واعلم أن صاحب هذا الرأي يبقى طول عمره، منتظراً لخروج إمامه، متمنياً لمجيئه، مستعجلاً لظهوره"([2]) وعلى غرار فرق الشيعة الرئيسية التي لا تعترف ببعض الفرق الغالية نجد في الرسائل إنكار إخوان الصفا لبعض الفرق ادعاءها التشيع، وهي بأفعالها المشينة بعيدة كل البعد عن التشيع إذ يقولون: "إن قوماً من شرار الناس جعلوا التشيع ستراً لهم عما يحذرون من الآمرين عليهم بالمعروف والناهين لهم عن المنكر فيما يفعلون، وذلك أنهم يركبون كل محظور، ويتركون كل مأمور به، وإذا نهوا عن منكر فعلوه، بارزوا بإظهار التشيع، واستعاذوا بالعَلوية على من ينكر عليهم أو ينهاهم عن منكر فعلوه، ولبئس ما كانوا يعملون"([3]) ويفهم من هذا النص أن إخوان الصفا يرفضون اعتقادات بعض الفرق المغالية في أفكارها ولكنهم ينتظمون مع الخط العام للمذهب الإمامي .

الاتجاه الثالث : انتماؤهم إلى الشيعة الزيدية :

ثمة رأي آخر يؤكد على انتماء إخوان الصفا إلي الشيعة الزيدية، وأن في رسائلهم مسحة شيعية، وهو رأي تُضْعِفُه طبيعة المذهب الزيدي الذي يرفض العمل السَّري ويلجأ إلي الثورة العلنية، فطبيعة دعوة زيد رضي الله عنه كانت في المطالبة بالخلافة، وأحقية زيد بن عليّ بها، بل إن أحد شروط الإمامة لدي الزيدية هي الخروج والدعوة العلنية، وترى الزيدية أن الدعوة إلى إمام مستور نوع من التضليل ([4]) مما جعل الزيدية

---

[1] – الرسائل، ١٩٧٥، ج ،٤ ص ١٤٨.

[2] – الرسائل، ١٩٧٥ ج ،٣ ص ٥٣٣.

[3] –رسائل إخوان الصفا، ص ٢١٨.

[4] – النوبختي ، فرق الشيعة،١٩٩٢ص ٧٠

أكثر الفرق الشيعية إثارة للانتفاضات والثورات، والأقل تأثيراً على الساحة السياسية في ذات الوقت حيث استطاع العباسيون القضاء علي معظم هذه الانتفاضات وتحجيم تأثيرها. كذلك مما يثبت انتماؤهم للشيعة التشابه الكبير في أسلوب الدعوة الذي اتبعه إخوان الصفا والشيعة على وجه العموم في النصيحة وقبول المؤيدين لهم في أفكارهم عن آل البيت([1]).فهُنالِك أمور تجمعهم إلى الشيعة على الرغم من عدم انتمائهم إلى إحدى فرقها. وها هم يخاطبونهم في الفصل المعنوَن «فصل في مخاطبة المتشيعين» بعبارات تؤكد الصلة دون توكيد التماثل التام:" قد جمع الله بيننا وبينك أيها الأخ البار الرحيم في أسباب شتى وخصال عدة، مما يؤكد المودة بين الإخوان، ويجمع شمل الأصدقاء في جميع صلاح الدين والدنيا، أيدك الله، ومما يجمعنا وإياك أيها الأخ البار الرحيم محبة نبينا، عليه السلام، وأهل بيت نبينا الطاهرين، وولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب خير الوصيين، صلوات الله عليهم أجمعين»([2]) وأيضاً:«واعلم يا أخي أنَّا قد عملنا إحدى وخمسين رسالة في فنون الآداب وغرائب العلوم وطرائف الحِكم، كل واحدة منها شبه المدخل والمقدمات والأنموذج، لكيما إذا نظر فيها إخواننا وسمع قراءتها أهل شيعتنا، وفهموا بعض معانيها، وعرفوا ما هم مقرون به من تفضيل أهل بيت النبي ﷺ؛ لأنهم خزان علم الله، ووارثو علم النبوات، وتبيَّن له تصديق ما يعتقدون فيهم من العلم والمعرفة ([3])».فهذا يبين أن ثمة علاقة نشأت بين إخوان الصفا وبين الشيعة الزيدية .

□

[1] – البعلي ١٩٥٨ ص٥٤. فلسفة اخوان الصفا الاجتماعية والأخلاقية. بغداد: مطبعة المعارف

[2] – رسائل إخوان الصفا، (٤٨: ٤، ١٩٥).

[3] –الرسائل، (٤٨: ٤، ١٨٦).

(الاتجاه الرابع) إخوان الصفا والإسماعيلية :

وهذه المسألة محل خلاف بين العلماء ما بين مُثْبِتٍ لوجود علاقة بينهما، وما بين نافٍ لها، ذلك أن أغلب الباحثين من العرب والمستشرقين يرون بأن هنالك صلة وثيقة وعلاقة متينة ومترابطة بين إخوان الصفا والإسماعيلية، والأغلب من الباحثين ينسبون إخوان الصفا إلى الاسماعيلية(وهي حركة دينية ذات طابع سياسي ظهرت بالقرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي بعد وفاة الإمام جعفر الصادق كان محمد الباقر وما قام به قبل وفاته من عدم إسناد الإمامة إلى ابنه الأكبر اسماعيل مما أدى إلى حدوث خلاف بين الشيعة حول موضوع الإمامة) ، فأغلب الباحثين يؤكدون على نسبة إخوان الصفا إلى الإسماعيلية مؤكدين انتماءهم اليهم، ولكن تحديدها لا يزال الى اليوم صعبا) ([1])، ومن بين هذه الأقوال التي تؤكد أنهم اسماعيلية ما ذكره الباحث (عادل العوا) إذ قال: "إن تنظيم اخوان الصفا إسماعيلي قُحّ" ([2])، كما يرى مصطفى غالب صحة انتساب إخوان الصفا إلى الإسماعيلية، مستندا بذلك الى نصوص الاسماعيلية التي جاءت على لسان دُعَاتها فيذكر أن : "هذه الأمور تعطينا الدليل القاطع على أن جماعة إخوان الصفا ينتسبون إلى الاسماعيلية، وأن فلسفتهم ونظرياتهم العقلانية تعتبر المرتكز الأساس الذي ترتكز عليه العقائد العرفانية الاسماعيلية([3]) . ولاحظ "ماسينيون" أيضًا أن المتنبي يستعمل بعض الألفاظ التي نجدها عند الإسماعيلية في إخوان الصفا من مثل: قدّس الله روحه، والفلك الدوَّار، وكذلك الثقلان بمعنى: القرآن والعترة؛ إذ يقول في كافور:

فما لك تختار القسيَ وإنما ... عن السعدِ يرمي دونَك الثقلانِ

ويلاحظ أيضًا أنه توجد في الديوان كلمات أخرى من مثل المهدي والقائم والخلف؛ ولكن شُرَّاح المتنبي لم يلتفتوا إلى هذا الجانب، وهو يضرب مثلًا لذلك أن المتنبي رأي

---

[1] -العوا، عادل، حقيقة إخوان الصفا، ط،١ دمشق، ١٩٩٣، ص ٩١.

[2] - العوا، ١٩٩٣ص٩١.

[3] - غالب، ١٩٦٩ ، في رحاب إخوان الصفا وخلان الوفا . د.م.: منشورات أحمد.ص٤٢١

أن الشمس لا يصح أن توضع تحت مرتبة الهلال إذ يقول: وما التأنيثُ لاسمِ الشمسِ عيبٌ ... ولا التذكيرُ فخرٌ للهلالِ([1])

كما ذهب المستشرق الفرنسي (كازانوفا) إلى القول : (إنني على أتم ثقة من أن آراء إخوان الصفا هي برمتها آراء الإسماعيلية، ومحمور هذه الآراء هو الاعتقاد بعودة الإمام الذي سوف يملأ الأرض سعادة، وقد اتهم القرامطة والحشاشون من قبل أعدائهم بالكفر، لكن ليس لهذه التهمة ظل من الحقيقة، فإن الرسالة الجامعة وهي خلاصة هذه الفرق ليس فيها شيء من ذلك، فمذهب الإسماعيلية وما تفرع عنه هي في أصلها بريئة من كل ما نسب إليها، وأكرر القول هنا بأن النزعة التي تسود آراء الإسماعيلية هي الاعتقاد بوحدة الكون، وهو مذهب يقاوم الإلحاد وإنكار الخالق مقاومة عنيفة . (والنتيجة التي انتهيت إليها هي أن هذه المذاهب هي مثل من أمثلة التاريخ التي تبين كيف أن المذهب يكون نقياً، ولكن في أيدي ذوي الأطماع يصبح آلة للفتك والتدمير)([2])، نقلنا هذه القطعة عن المستشرق الفرنسي لكي نبين أننا لا نسيء إلى إخوان الصفا إذ نسبهم إلى الإسماعيلية، ولكن ما هي طبيعة هذه النسبة وما مقدارها؟ هذا ما يجيب عنه اولياري بقوله (هناك ما يغري بالظن أن حركة الإخوان حركة إصلاح من جانب بعض الإسماعيلية الذين أرادوا الرجوع إلى تعاليم الإسماعيلية القديمة) وأول ما يلحظ من أوجه الشبه بين الإسماعيلية وإخوان الصفا الأسلوب الذي جروا عليه في نشر دعوتهم والدعاية لمذهبهم وهو أسلوب الإسماعيلية المعهود – أسلوب التدرج في بث الفكرة والتلطف في عرضها على الناس. فإخوان الصفا كل الإسماعيلية يوصون (بأنه ينبغي لمن حصلت له هذه الرسائل من إخواننا الكرام أن يدفع منها إلى كل من يستحق ما يقرب من فهمه، وما يعلم أنه يصلح له أو يليق بمرتبته أولاً فأولاً. فكلما ارتفعت نفسه في العالم إلى درجة وانتهت إلى مرتبة في المعرفة رقي إلى ما بعدها

---

[1] – MASSIGNON، DE SIECLE ISMAELIEN DEVANT MUTANABBI ISLAM;I، ١٢. P .

[2] –إخوان الصفا والإسماعيلية، للأستاذ أديب عباسي، مجلة الرسالة – العدد ٤٠،

ورفع إلى ما يتلوها([1]). فبعض الدارسين يجعلهم فرقة ذات ميول شيعية محضة وأنها تمثل الجانب الشعبي في فلسفة الاسماعيلية ([2])، ومن أبواب التشابه بين الجماعتين اتفاقهما اتفاقاً كلياً في مذهب الحلول. فهو في رسائل الإخوان كما في تعاليم الإسماعيلية المحور الذي تدور حوله هذه الرسائل والتعاليم. ووجه آخر من أوجه التشابه هو تفسير القرآن تفسيراً غير ما يدل عليه ظاهر اللفظ. وهذا الأسلوب هو أسلوب الباطن الذي جرى عليه الشيعة ومن تفرع منهم. وإليك ما يقوله إخوان الصفا في هذا الشأن- : (واعلم أن للكتب الإلهية تنزيلات ظاهرة وهي الألفاظ المقروءة المسموعة، ولكن لها تأويلات خفية باطنة: وهي المعاني المفهومة المعقولة. وفي استعمال أحكامها الظاهرة صلاح للمستعجلين في دنياهم، وفي معرفتهم أسرارها الخفية صلاح لهم في أمر معادهم)([3]).كما نجد تأييداً آخر يؤكد انتماءهم للإسماعيلية وهو يدعم الرأي السابق، وهذا الرأي مفاده أن ازدهار الحياة الثقافية في القرن الرابع الهجري ساعد على أن تظهر في الاسماعيلية جمعية باسم اخوان الصفا ذات نزعة فلسفية، وتنشا رسائل تجمع فيها عصارة التيارات الفلسفية الشائعة وتجعل في باطنها حقائقها الفكرية وتقدم خطة ثقافية وخطة حياة سياسية في تكتم يجعل تعاليمها وسياستها في مأمن من رقابة الحكام)([4])، ويبدو هذا التشابه الكبير بين إخوان الصفا والإسماعيلية يكمن في المنهج بين كل من الدعاة الإسماعيلية وأنصار إخوان الصفا، وكذلك وجود نوع من العلاقة السرية بين المؤسستين)([5]) .وكان لرسائل إخوان الصفا استعمال تاريخي لدى الإسماعيليين، الذين جعلوا منها كتاباً أساسياً لهم، بالطريقة التي فسَّر بها (عارف تامر)

---

[1] – رسائل إخوان الصفا، (ج ٤ ص٢٨٨).

[2] – الجابري ، ١٩٨٩ حقيقة إخوان الصفا بين محمد عابد الجابري وجورج طرابيشي، ، ٢٠٤

[3] – رسائل إخوان الصفا، (ج٤ ص١٨٩).

[4] – الفاخوري ، حنا، تاريخ الفلسفة العربية، دار الجيل الجديد ،)بيروت ، ١٩٩٣، ج،١ ص٢٢٤

[5] – محمد ، تطور الفكر الفلسفي في ايران إسهام في تاريخ الفلسفة الإسلامية، ترجمة حسن محمد الشافعي ومحمد جمال الدين، ط،١)القاهرة ١٩٨٩، ص٥٤

دورها لديهم قائلا: " إن رسائل إخوان الصفا قرآن الأئمة"([1])، وقد لعبت هذه الحركة الدينية السياسية دوراً أساسياً في تاريخ الخلافة الفاطمية المعروفة بانفتاحها الحضاري، لكن الرسائل قد تجاوزت حدود الطائفة الإسماعيلية، وأثرت بأفكارها على حركات سياسية أخرى كالقرامطة وغيرها.

هذه بعض أوجه الشبه بين الإسماعيلية وإخوان الصفا من حيث المعتقد وطرائق النشر والدعاية. على أن ثمة وجهين آخرين للشبه بينهما: هما التشيع لآل البيت والدعوة إلى الإمام المنتظر أو المهدي. أما أمر التشيع فظاهر من قولهم :(ومن الناس طائفة ينسبون إلينا أجسادهم وهم براءٌ منا ويسمون أنفسهم العلوية وما هم من العلويين، ولكنهم في أسفل السافلين لا يعرفون من أمرنا إلا نسبة الأجساد، ولا من القرآن إلا اسمه، ولا من الإسلام إلا رسمه ([2]). وهم لا يذكرون الإمام إلا مقروناً بأفخم النُّعوت كقولهم (وأيضاً من الآراء الفاسدة رأي من يرى أن بارئه وإلهه روح القدس قتله اليهود. وهكذا أيضاً حكم من يرى ويعتقد أن الإمام المنتظر الفاضل الهادي مختفٍ لا يظهر من خوف المخالفين)([3])، ومثله قولهم: (واعلم يا أخي أن أقوى ما يكون فعل إبليس في دور الشهر (دور الشهر في مصطلحات الشيعة هو الزمن الذي لا يكون فيه إمام. وهو الفترة بين الإمام الواحد والذي يليه). وذلك لأن حجة الله على أرضه وخليفته على عباده يكون مختفياً مستوراً، وإن كانت أنواره تضيء في نفوس العارفين به)([4]). وما تقدم لا يدع مجالاً للشك في تشيُّع إخوان الصفا وإيمانهم بالإمام المنتظر. ولكن لنا أن نسأل هل وقف إخوان الصفا عند حد النظر من الإيمان بالإمام المنتظر أو هم تخطوا ذلك إلى بث الدعوة له والتعريف به؟ نعتقد أن في القطعة التالية إيضاحاً لذلك. وذلك حيث يقولون- :(وقد أخذناك أيها الأخ لأمر فيه قربة إلى الله تعالى ونصرة للدين. فكن

---

[1] -عارف تامر، حقيقة إخوان الصفا وخلان الوفاء، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٥٧م، ص ١٧.

[2] - رسائل إخوان الصفا، (ج٤ ص١٩٥)

[3] - رسائل إخوان الصفا، ج٤ ص٧٦ - ٨٧).

[4] -المرجع السابق، (ج٤ ص٣٥٥).

واثقاً بما اخترناك، وسرِْ على بركة الله وحسن توفيقه، متوكلاً عليه في نصرته وتأييده إلى أخ من إخواننا الفضلاء، وتلطف في الوصول إليه وبشره بما ألقيناه من الأسرار في شأنه: وعرفه بأن إخوانه الذين وجهوك إليه لهم مجلس يجتمعون فيه يتذاكرون العلوم ويتحاورون الأسرار. فتذاكروا يوماً فيما بينهم من حوادث الأيام وتغييرات الزمان وما تدل عليه دلائل القرآن من تغيير شرائع الدين والملل، وتنقل الملك والدول، من أمة إلى أمة ومن بلد إلى بلد، ومن أهل بيت إلى أهل بيت وقد اعتبرنا بهذه الوجوه التي ذكرناها حتى عرفنا (صاحب الأمر) بصفاته والسنة والشهر الذي يكون فيه الحادث)([1]). فكل ما تقدم لا يدع مجالاً للريب في أغراض إخوان الصفا السياسية، وهي نشر الدعوة وأعداد الأفكار لظهور أحد المهديين.كما تحتوي رسائل اخوان الصفا على الكثير من الأفكار العقائدية حول علم الكلام والسياسة والأخلاق وفي شتى المجالات المختلفة الأخرى وهي على شكل دروس حركية كانت تلقى في الحلقات الخاصة لكبار دعاة الاسماعيلية في البلاد الإسلامية ، كما أن المغول عندما استولوا على قلعة(الموت) وجدوا فيها رسائل اخوان الصفا)([2]) ، كما نجد أن الرسائل تمثل عرض شامل للمذهب الإسماعيلي وإخوان الصفا كانوا جماعة فكرية ذات نزعة اسماعيلية خاصة)([3]). وأن الإسماعيلية هي التي أخذت نهج إخوان الصفا في منهجهم وتنظيمهم وليس العكس، حيث إن آراء الاسماعيلية كلها موجودة في رسائل إخوان الصفا، وإن الاسماعيلية تلقوا تعاليم إخوان الصفا وزادوا فيها وطبقوا بعض نظرياتهم على الأمور الدينية والعسكرية)([4]). لذلك فإن القول ينسبه إخوان الصفا إلى الاسماعيلية يثبت مدى الصلة المتينة بينهما في الفكر والمنهج، فإذا رجعنا إلى الرسائل نفسها نبحث في مضمونها وجدنا علاقة واضحة بين المبادئ الفلسفية التي تأسست عليها جماعة (إخوان الصفا)

---

[1] -المرجع السابق، (ج٤ ص٢٢٤ - ٢٢٥).

[2] - الرسائل، ١٩٧٥ ج،١ ص ١٠-١١

[3] - العوا، ١٩٩٣، حقيقة اخوان الصفا، ص-٩١ .٩٢

[4] - في رحاب اخوان الصفا وخلان الوفا، غالب، ص ٤٢٢.

وأصول التنظيم المتبعة لدى الجماعة، وبين مبادئ الاسماعيلية وأصولهم التنظيمية، ولكننا نجد مجالاً للقول بأن هذه العلاقة لا تبلغ درجة التماثل الكامل، بحيث لا يصح النظر إلى الجماعة كأنها تنظيم إسماعيلي صرف. فقد كان للإسماعيلية وجود سبق وجود إخوان الصفا بزمن طويل، وكان لها تنظيم متقدم يعمل بنشاط ودقة ودأب منذ ذلك الزمن، ويمارس بذلك تأثيراته في مجالات الكفاح السياسي والأيديولوجي على بعض الحركات الثورية التي ظهرت خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، كحركة القرامطة بالدرجة الأولى. إلا أننا نجد رأياً معارضاً لوجود صلة بين الجماعتين سواء في الجانب العقائدي أو المنهجي ، بالرغم من الآراء التي طرحها الباحثون والتي تبين مدى صلة انتماء إخوان الصفا للإسماعيلية، فهناك آراء متناقضة تبين عدم وجود علاقة انتساب بينهما، رغم أخذ الاسماعيلية ببعض آراء إخوان الصفا، وأن هذا التشابه والتطابق والتأثر لا يعد دليلاً على انتماء إخوان الصفا إليهم، ومن هذه الآراء نجد رأيا "للسواح " قائلاً :" إننا لا نجد لإخوان الصفا ورسائلهم ذكراً لدى المفكرين الاسماعيليين إبَّان عصر نهضة الفكر الاسماعيلي في القرنين الرابع والخامس الهجري من أمثال القاضي النعمان والكرماني، والنسفي، والرازي، والسجستاني، ولو كانت الرسائل تشكل المصدر الأكبر للفكر الاسماعيلي اعتمد عليها هؤلاء المفكرون صراحة وأشادوا بها)([1]). ومع ذلك يختلفون في بعض الجوانب، فإخوان الصفا يعتمدون على جانب فكري بكفاحهم من أجل التغيير الاجتماعي، أما الإسماعيلية فالجانب التطبيقي بارزاً بنظريتهم، إذ كان لهم سلطة دنيوية قائمة .كما رفض الدكتور (عادل العوا) نسبة إخوان الصفا إلى الإسماعيلية منبها أن هذا القول بلا برهان على أن واضع رسائل إخوان الصفا من أتباع فرقة الحشاشين (الشيعة) ، ثم يقول: وهب جدلا أن كاتبها هو

---

[1] – الـ سواح، طريق إخوان الـ صفا المدخل إلى الغنو صية الإ سلامية، ط ،١ ، دمـ شق،(٢٠٠٨) ص٢٣٤-٢٣٣

من الحشاشين، فإن ذلك لا يعني بالضرورة انتماء الإخوان إلى حركات لاحقة بعصرهم، كحركات الحشاشين والفاطميين، ومن ثم الإسماعيلية بوجه عام.([1]).

الاتجاه الخامس (القرامطة):

ومما يذكر في هذا الصدد قول بعض الباحثين الذين يعزون تأليف الرسائل إلى فرق معينة فإنهم ينسبون جماعة الإخوان إلى القرمطية أو النصيرية أو الدرزية، من ذلك أن (ماسينيون) يعد إخوان الصفاء من القرامطة. وقريب منه قول ابن تيمية: "هم جماعة في دولة (بني بويه) ببغداد وكانوا من الصابئة المتفلسفة المتحنفة جمعوا بين دين الصابئة وبين الحنيفية، وأتوا بكلام المتفلسفة وبأشياء من الشريعة، وفيه من الكفر والجهل شيء كثير .مؤكداً أصل إخوان الصفا وأنه من مذهب القرامطة الفلاسفة"([2]) . قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وكتاب رسائل إخوان الصفا أصل مذهب القرامطة الفلاسفة"([3])، وذكر (ابن العطار)وهو يَنظِمُ إخوان الصفا والقرامطة في سِلكِ الباطنية قوله: "ومن طوائف الباطنية: إخوان الصفا وخلان الوفا، والقرامطة، والخرمية، والإباحية، وغيرهم"([4]) .وقد أكد هذه النسبة إلى القرامطة باحثٌ آخر، جاء قوله:" (رسائل إخوان الصفا (وهي على مافي (كشف الظنون وشرح عقيدة السفاريني)

---

[1] -حقيقة إخوان الصفا، عادل العوا، ص ٩٢.

[2] - مجموع فتاوى ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، ج١، ض٣٤ بتصرف.

[3] - لوامع الأنوار البهية و سواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، المؤلف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ)، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، الطبعة: الثانية – ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م، ١|٨٥.

[4] -الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد: علي بن إبراهيم بن داود بن سلمان بن سليمان، أبو الحسن، علاء الدين ابن العطار (المتوفى: ٧٢٤هـ)، المحقق: الدكتور سعد بن هليل الزويهري الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م، ٣٢٠.

إحدى وخمسون رسالة وهي أصل مذهب القرامطة" ([1])، وأيَّدَ هذا القول (شمس الدين بن محمد بن أشرف بن قيصر الأفغاني) بقوله: " إخوان الصفا – من القرامطة الباطنية"([2]).

وهنالك أسباب عدة أدت إلى الاعتقاد بانتماء إخوان الصفا إلى القرامطة منها نشوء وتواجد كل من إخوان الصفا والقرامطة في البصرة، وأنه ليس ببعيد أن يكون إخوان الصفا قد تأثروا بهم كونهم نشأوا في مدينة واحدة ، ولكن هذا لا ينهض أن يكون سبباً مقنعاً، لأن البصرة كانت موطناً لكثير من الجماعات الأخرى كالمعتزلة وغيرها، كما يوجد تشابه واضح بين غاية وأهداف القرامطة وإخوان الصفا، فإن كلاً منهما جماعة سرية، وعلى الرغم من ذلك يستبعد هذا الانتماء، لأن إخوان الصفا جماعة كانت تنشر آراءها وأهدافها بطريقة سلمية وتعليمية. على عكس القرامطة تماماً والذين لجأوا إلى القوة والسيف، جاء في رسائل إخوان الصفا قولُهم: "اعلم يا أخي! أن من الناس من يتقرب إلى الله بأنبيائه ورسله، وبأئمتهم وأوصيائهم، أو بأولياء الله وعباده الصالحين، أو بملائكة الله المقربين والتعظيم لهم ومساجدهم والاقتداء بهم وبأفعالهم، والعمل بوصاياهم وسننهم على ذلك بحسب ما يمكنهم ويتأتى لهم، ويتحقق في نفوسهم ويؤدي إليه اجتهادهم. فأما من يعرف الله حق معرفته فهو لا يتوسل إليه بأحد غيره، وهذه مرتبة أهل المعارف الذين هم أولياء الله. وأما من قصر فهمه ومعرفته وحقيقته فليس له طريق إلى الله تعالى إلا بأنبيائه، ومن قصر فهمه ومعرفته فليس له طريق إلى الله تعالى إلا بالأئمة من خلفائهم وأوصيائهم وعبادة الصالحين. فإن قَصُر فهمُه ومعرفته بهم فليس له طريق إلا اتباع آثارهم، والعمل بوصاياهم والتعلق بسننهم، والذهاب إلى

---

[1] – توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم : أحمد بن إبراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن عبد الله بن عيسى (المتوفى: ١٣٢٧هـ)، المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٦، ج١|٢٤٨.

[2] – جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية: أبو عبد الله شمس الدين بن محمد بن أ شرف بن قيصر الأفغاني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)الناشر: دار الصميعي (أصل هذا الكتاب رسالة دكتوراه من الجامعة الإسلامية)، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م، ٢:١٢٨٧.

مساجدهم ومشاهدهم، والدعاء والصلاة والصيام والاستغفار، وطلب الغفران والرحمة عند قبورهم، وعند تماثيلهم المصورة على أشكالهم، لتذكار آياتهم، وتعرف أحوالهم من الأصنام والأوثان وما يشاكل ذلك طلباً للقربة إلى الله والزلفى لديه.ثم اعلم! أنه على كل حال من يعبد شيئاً من الأشياء، ويتقرب إلى الله تعالى بأحد فهو أصلح حالاً ممن لا يدين شيئا ولا يتقرب إلى الله ألبتة" اهـ.([1])

ويعلق على هذا (صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ) بقوله: "هكذا أدخل إخوان الصفا الباطنيون الشرك في المسلمين، فانتشر في الجُهَّال انتشاراً، واشتعل فيهم اشتعال اللهب في يابس الشجر([2]). وعلى الجانب الآخر نجد من انتقد هذا القول ورد عليه بأن نص الرسائل ينكر فعال القرامطة واقتلاعهم الحجر الأسود، ويتهم مزدك الخرَّمي الذي ترتبط به القرمطية بالتمويه والتزوير على قلوب العامة والجهال. ونجد في المقابل آراء تعارض هذه الصلة أو الانتماء مؤكدة أن هنالك علاقة تأثر وتأثير واشتراك و تشابه بين إخوان الصفا والقرامطة، ولكنها لا ترتقي إلى مستوى الانتماء، وهذا الرأي المعارض الذي ينكر الصلة بين إخوان الصفا والقرامطة، ويبين أن هناك فوارق يختلف فيها إخوان الصفا عن القرامطة منها الشي الوحيد المطلوب للانتماء إلى التنظيم القرمطي هو الطاعة العمياء لرئيس الحركة أو التنظيم فان اختيار عضو جماعة إخوان الصفا على العكس مهمة شاقة وخطرة ودقيقة)([3]). وإذ يكتفي الإمام الغزالي رحمه الله في «المنقذ» بفَضْحِ إخوان الصفاء لاستدراجهم قلوب الحمقى إلى باطلهم، وعن تأثُّر الغزالي رحمه الله برسائل إخوان الصفا قال الإمام الذهبي رحمه الله حين ترجم لأبي حامد الغزالي: " وحُبِّبَ إليه إدمان النظر في كتاب (رسائل إخوان الصفا) وهو داءٌ عُضَال، وجَرَبٌ مُرْدٍ، وسُمٌّ قاتل، ولولا أن أبا حامد من كبار الأذكياء لتَلَف"([4])،

---

[1] – رسائل إخوان الصفا، الرسالة ٤٢ (٢١/٤)

[2] – هذه مفاهيمنا، المؤلف: صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الـ شيخ، النا شر: إدارة المساجد والمشاريع الخيرية الرياض، الطبعة: الثانية ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ٣٨.

[3] – حقيقة اخوان الصفا، عادل العوا، ص ٧٩.

[4] –سيَر أعلام النبلاء: ١٩ / ٣٢٨.

ويقرر الإمام ابن تيمية رحمه الله تماثل مذهب إخوان الصفا والعقيدة النصيرية. ولكن نصوص الرسائل لا تنمُّ عن هذا الالتقاء إلا إذا قصد ابن تيمية تأثُّر النُّصيرية بالرسائل لقوله: إن أصحاب الرسائل من أئمتهم. وفي الرسائل ذكر للنبي محمد صلى الله عليه وسلم على أنه مدينة العلم، وأن علياً بابها، لكن لا يذكر اسم سلمان الفارسي رضي الله عنه إلا مرة واحدة، وعلى أنه من الصحابة رضي الله عنهم وحسب. وفي مجال آخر يرى (مكدونالد) أن انتقائية الإخوان هي المذهب الحقيقي للفاطميين(١) والحشاشين(٢) والقرامطة (٣)والدروز. ولكن من الثابت أن الرسائل سبقت ظهور المذهب الدرزي المتصل باختفاء الحاكم بأمر الله سنة ٤١١هـ ويؤكد عمر فروخ صلة الرسائل بالمذهب الدرزي، ولكن على أساس تأثره بها، ولا عكس.وقد انتهت بهم نزعتهم التلفيقية هذه إلى أن يَرَوا في جميع المذاهب الفلسفية والوثنية والموحدية مذهباً واحداً يوفِّق بين جوهر الأديان، ولهذا قالوا: " الرجل الكامل يكون فارسي النسب، عربي الدين، عراقي الأدب، عبراني المخبَر، مسيحي المنهج، شامي النسك، يوناني العلم، هندي البصيرة،

---

١ – قال الفاطميون بنبوة محمد عليه الـ سلام، وو صاية علي بن أبي طالب، وإمامة ابنه الحـ سن، فالحـ سين، فزين العابدين، فمحمد الباقر، فجعفر الـ صادق. فهم على هذا النحو يتفقون في تـ سلـ سل الإمامة مع الشيعة الاثني عشرية. في أدب مصر الفاطمية، محمد كامل حسين، ص٢٣، ط مكتبة دار الفكر العربي.

٢ – الحشاشون هم فرقة من الإسماعيلية وينضوون تحت لواء واحد مع الفاطميين، إلا أنهم كانوا بالشام وفارس، وكانت بدايتهم بمصر على يد رجل فارسي اسمه الحسن بن الصباح ، توفي سنة ١١٢٤م، وعقائدهم هي نفس عقائد الإسماعيلية، مثل إيمانهم بوجود إمام معصوم منصوص عليه من ولد محمد بن إ سماعيل، والقول بالإمام الغائب أو المـ ستور، ورفع أئمتهم لمنزلة أ شبه بمنزلة الألوهية، ومنها القول بالتناسخ.

٣ – الدروز يعتقدون بألوهية الحاكم بأمر الله، وهو أبو علي المنصـــور ابن العزير بالله الفاطمي، المتوفى سنة ٣٧٥هـ، ٩٨٥م
يعتقدون بالجنة ولا بالنار ولا باليوم الآخر، ويعتقدون بتناسخ الأرواح. الحشّاشون.. القصة الكاملة لأكثر الفرق دموية في التاريخ الإ سلامي، محمد شعبان أيوب، موقع الجزيرة بتاريخ ٢٠١٧/٤/٣
https://www.aljazeera.net/turath

صوفي السيرة، ملَكيَّ الأخلاق"([1]).وقالوا كذلك: " ينبغي لإخواننا ألاَّ يعادوا علماً من العلوم أو يهجروا كتاباً من الكتب ولا يتعصبوا على مذهب من المذاهب؛ لأن رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلها ويجمع العلوم كلها"([2]) .

وهناك من شكك في نسبة إخوان الصفا إلى القرامطة، مستشهداً ببُعْد الشُّقَّة بينهما، فالقرامطة يهدفون إلى حمل الناس على الإلحاد وتعليمهم أن يحتقروا الشرائع وتسفيه النظام والعدل، فأباحوا لأتباعهم قتل الرجال وسبي النساء وقتل الأطفال، وهذا يتنافى مع سلوك إخوان الصفا، ونصوص الرسائل تدين إدانة مطلقة مثل هذه الممارسات الخاطئة للقرامطة([3]). هذا فضلاً عن وجود فوارق كبيرة بين إخوان الصفا وبين القرامطة، فبينما الشيء الوحيد المطلوب للانتماء إلى التنظيم القرمطي هو الطاعة العمياء لرئيس الفرقة ونوابه، فإن اختيار عضو جماعة إخوان الصفا لا مجال فيها لقهر أو قسر أو إكراه.

الاتجاه السادس: "الداروينية الحديثة:

يرى بعض المؤرخين نسبة إخوان الصفا إلى الداروينية القائلة بالتطور والنشوء والارتقاء ، ويستدلون على ذلك بنصوص من رسائل إخوان الصفا تتبنى فكرة تطور الإنسان، ويصف النص الموجود في «موسوعة إخوان الصفاء» التنوع البيولوجي بطريقة مشابهة لنظرية التطور الحديثة([4])، ويلاحظ بعض علماء العصر الحديث في هذه الوثيقة أن "سلسلة الوصف من قبل الإخوان لها جانب زمني دفع بعض العلماء إلى اعتبار مؤلفي الرسائل يؤمنون بنظرية التطور الحديثة" ([5])، وبحسب ما ورد في

---

[1] –رسائل إخوان الصفا: ٤ / ٢٤٠.

[2] – المصدر السابق: ٤ / ٤٢.

[3] –ذكره التهانوي في كشاف اصطلاحات الفنون، ص ٦٦٩.

[4] –نصر(١٩٩٢) الداروينية، ليبزج، ١٨٧٨. ص ٧١.

[5] –"ر سائل إخوان الـ صفاء وخلان الوفاء". المو سوعة البريطانية. مؤر شف من الأ صل في ١٣–٠٦–٢٠٢١.

الرسائل " لكن الأفراد في حالة تدفق دائم. فهي ليست محددة ولا محفوظة" (١).ويرجع السبب في الحفاظ على الأشكال والجنس والأنواع في المادة هو ثبات سببها السماوي لأن سببها الفعال هو الروح الكونية للأجواء بدلاً من التغيير والتدفق المستمر للأفراد الذي يرجع إلى تنوع سببهم "(٢)، ومما يقوِّي هذا الرأي، ويدعَمُ هذا البيان المفهوم القائل بأن الأنواع والأفراد ليسوا ساكنين، وأنهم عندما يتغيرون يكون ذلك بسبب غرض جديد معين. في عقيدة الإخوان تشابه بين ذلك وبين نظرية التطور. يعتقد كلاهما أن "وقت وجود النباتات الأرضية يسبق وقت الحيوانات، والمعادن تسبق النباتات، والكائنات الحية تتكيف مع بيئتها" (٣)، لكنهما يؤكدان أن كل شيء موجود لغرض ما (٤)، يصف محمد حميد الله أفكار التطور الموجودة في موسوعة إخوان الصفاء (رسائل إخوان الصفا) على النحو التالي: «تنص [هذه الكتب] على أن الله خلق المادة أولاً واستثمرها بالطاقة من أجل التنمية. لذلك، اتخذت المادة شكل البخار الذي اتخذ شكل الماء في الوقت المناسب. وكانت المرحلة التالية من التطور هي الحياة المعدنية. تطورت الحجارة مع مرور الوقت، وكان أعلى شكل لها هو مرجان (المرجان). وهو حجر له فروع مثل تلك التي توجد في الشجرة. وبعد أن تتطور الحياة المعدنية إلى الغطاء النباتي. حيوان. هذا هو النخيل. له جنس ذكرا وأنثى. لا يذبل إذا تم تقطيع جميع فروعه ولكنه يموت بقطع الرأس، لذلك يعتبر نخيل التمر الأعلى بين الأشجار والأشجار. أشبه بالأدنى بين الحيوانات، ثم يولد أدنى البهائم، يتحول إلى قرد، ليس هذا قول داروين، هذا ما قاله ابن مسكويه، وهذا بالضبط ما كتب في رسائل إخوان الصفا. ثم تطور ذلك القرد إلى نوع أدنى من رجل بربري. ثم أصبح إنسانًا متفوقًا. يصبح الإنسان قديساً نبياً. يتطور إلى مرحلة أعلى ويصبح ملاكًا. أعلى الملائكة في الواقع ليس إلا الله. كل شيء يبدأ

١-إخوان الصفا". موسوعة الإنترنت الفلسفية. ٧ مايو ٢٠١٩.

٢-نصر، (١٩٩٢) ص ٧٢.

٣-إقبال، مظفر الإسلام والعلم (بريطانيا العظمى: MPG Books Ltd، ١٩٨٨) ١١٧.

٤-«إخوان الصفا». موقع الاسماعيلية.نت. مؤرشف من الأصل في ٢٦-٠١-٢٠٢١.

منه وكل شيء يعود إليه "([1])، ومما يُعزِّزُ نسبة إخوان الصفا إلى الداروينية في نظر هؤلاء أن الترجمات الإنجليزية لموسوعة إخوان الصفاء كانت متاحة منذ عام ١٨١٢، ومن ثم ربما كان لهذا العمل تأثير على تشارلز داروين وبدء الداروينية.([2]) ومع ذلك، فإن كتاب حميد الله «داروين مستوحى من رسائل إخوان الصفا» يبدو غير مرجح لأن تشارلز داروين يأتي من عائلة تطورية مع جده الطبيب المعروف إيراسموس داروين([3])، مؤلف قصيدة أصل المجتمع في التطور، كان أحد رواد التطور في عصر التنوير([4]). قلت : ولعل هذا ليس بمستغرب على إخوان الصفا أن تأخذ من كل علم بطرف، فقد نصت على ذلك رسائلهم التي تقول: " وبالجملة ينبغي لإخواننا أيدهم الله تعالى ألا يعادوا علما من العلوم، أو يهجروا كتابا من الكتب، ولا يتعصبوا على مذهب من المذاهب؛ لأن رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلها ويجمع العلوم جميعها؛ وذلك أنه هو النظر في جميع الموجودات بأسرها، الحسية والعقلية؛ من أولها إلى آخرها، ظاهرها وباطنها، جَلِيِّها وخَفِيِّها، بعين الحقيقة من حيث هي كلها من مبدأ واحد وعلة واحدة وعالم واحد ونفس واحدة محيطة جواهرها المختلفة وأجناسها المتباينة وأنواعها المفننة وجزئياتها المتغايرة.([5]) تبين الفقرة السابقة طمع إخوان الصفا في شمولية المعرفة، فالرسائل تنادي بالفضول المعرفي غير المحدود، وتشجيعه بلا قيود تحصره داخل مجال علمي أو مذهب أو طائفة ما، فليست رسائل إخوان الصفا موسوعة علمية

---

[1] -محمد حميد الله وأفضال إقبال (١٩٩٣)، ظهور الإسلام: محاضرات حول تطور النظرة الإسلامية للعالم والتقاليد الفكرية والسياسة، ص ١٤٣-١٤٤. معهد البحوث الإسلامية، إسلام آباد.

[2] - محمد حميد الله وأفضال إقبال (١٩٩٣)، ظهور الإسلام: محاضرات حول تطور النظرة الإسلامية للعالم والتقاليد الفكرية والسياسة، ص ١٤٣-١٤٤. معهد البحوث الإسلامية، إسلام آباد.

[3] - إخوان الصفا". .Encyclopedia.com ٢٣ سبتمبر ٢٠٢١.

[4] - زيركل، كونواي (٢٥ أبريل ١٩٤١). "الانتقاء الطبيعي قبل "أصل الأنواع". وقائع الجمعية الفلسفية الأمريكية

[5] -رسالة ٤٥، ج٤، ص ٤١-٤٢

فحسب، لكنها تحوي بين طياتها تفسير كتب سماوية ومجادلات دينية وسياسية وقصص على لسان الحيوانات وأبيات شعر...([1]).

الاتجاه السابع: هناك من ربط بين جماعة إخوان الصفا وبين الصوفية، فقد صنف المستشرق جولد تسيهر جماعة «إخوان الصفا» ضمن مفسري الصوفية، كما تابعه على هذا القول (سيد حسين نصر) ، حيث يشير نصر إلى التشابه الكبير بين مضمون معظم الرسائل وبين التصوف، وخاصة فيما يتعلق بعلم الكونيات، الذي منه استقى الغزالي وابن عربي رحمهما الله كلاهما، كثيراً من صياغاتهما، حيث لم يقرن إخوان الصفا أنفسهم روحياً بالتصوف فقط، بل إن حديثهم عن جمعيتهم بحسب نصر يطابق من ناحية ظاهرية واجتماعية الطرق الصوفية، من حيث تقسيم المراتب والدرجات وما شاكل([2]).

ويُعَلِّل صاحب هذا القول بأن إخوان الصفا اقتربوا إلى حد ما من الصوفية، خصوصاً سلوكهم في مجال الأخلاق، مثل الزهد والتوكل والصبر والإخلاص والإيمان، وضرورة أن يبلغ الأخ أسمى درجات الإيمان من فناء الشهوات ومن صفاء النفس والقرب من الله، وهم هنا يقتربون من الصوفية في أخلاقهم الجماعية، حين يفيضون في ذكر آداب الصحبة ولزوم الصديق([3]). وقد ردَّ على هذا القول بأن من قال بأنهم من الصوفية بعض الباحثين غافلاً عن أنهم جماعة متفلسفة ضمت صفوفها آلافاً من الناس، مشاربهم مختلفة، ومضاربهم متنوعة، فيهم الملاحدة، وفيهم الزنادقة، وفيهم الجاهل الغُفْل، فنسبتهم إلى الصوفية خطأ علمي، وتجنٍّ على الحقيقة. وذكر التوحيدي أسماء كبرائهم، فذكر منهم زيد بن رفاعة. قال الذهبي: " أبو الخير: لا صبحه الله بخير! له كتاب (أربعين حديثاً) باطلة. وقال العسقلاني: معروف بوضع الحديث». ومن أقواله: أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال. وقالوا: «الشريعة قد

---

[1] –رسائل إخوان الصفا، تيسير: جيوم ديفو، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص٤.

[2] – (الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي) سيد حسين نصر، مجلة المعرفة الصادرة عن وزارة الثقافة السورية، العدد ٣٢٢، تموز يوليو ١٩٩٠

[3] –الفلسفة الأخلاقية في افكر الإسلامي، أحمد محمود صبحي، (القاهرة–دار المعارف، د ت) ص ٣٠٤.

دُنّست بالجهالات، واختلطت بالضّلالات، ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة». وصنّفوا خمسين رسالة في الفلسفة: وسمّوها رسائل إخوان الصّفا وخلّان الوفاء، وكتموا أسماءهم، وبثّوها في الورّاقين، ولقّنوها الناس، وادّعوا أنّهم ما فعلوا ذلك إلا ابتغاء وجه الله عزّ وجلّ وطلب رضوانه.([1])

الاتجاه الثامن: ما بعد المعتزلة :

نسب بعض الباحثين إخوان الصفا إلى جماعة أطلق عليها " ما بعد المعتزلة" وهذه التي سماها بعض مشايخ السلفية للمدرسة العقلية الحديثة" حيث يعتمد صاحب كتاب "رسالة جامعة الجامعة "([2]) منهجا مختلفا نوعا ما مبنياً على الدراسة التحليلية لرسائل إخوان الصفا، فبدلا من ربط إخوان الصفا بأية جماعة معينة، نراه يطلق عليهم اسم " ما بعد المعتزلة". ويقصدون به" المدرسة العقلية الحديثة"([3]) وكان من السمات العامة لفكر المدرسة العقلية الحديثة :تقديم العقل على النقل.

تأويل القرآن.تأويل الآيات والنصوص بما يتلاءم مع العقل، أو المكتشفات العلمية الحديثة ([4]).فالمؤلف يربط بين إخوان الصفا وبين العقلانيين في إعلاء قيمة العقل، ويتضح أن فلسفة إخوان الصفا قائمة على اصطفاء (الإنسان) الكائن العرفاني ليكون خليفة الله في أرضه، فنفخ فيه من روحه، وعلمه أسماء المخلوقات، يقول إخوان الصفا:" واعلم يا أخي، أيدك الله وإيانا بروح منه، بأنّ الله جل ثناؤه، لما أراد أن يجعل

---

[1]- إ خوان الصـــــ فا في م يزان ا ل تو ح يدي وشـــــ يو خه، د.أ ح مد ا لز ب يدي، https://www.albayan.ae/opinions/white-ink/

[2]- رسالة جامعة الجامعة، عارف تامر، ص ٥٨ وما بعدها، بيروت، د ن، ١٩٥٩

[3]- المدرسة العقلية الحديثة :وضع بذور المدرسة العقلية الحديثة جمال الدين بن صفدر الحسيني الأفغاني، وتولى رعايتها و سقيها حتى أثمرت وأينعت الأ ستاذ محمد عبده. وقد اختلف في أ صل ون سب جمال الدين الأفغاني، والدلائل ت شير إلى أنه إيراني الأ صل وليس بأفغاني كما سمى نف سه. [انظر: تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده: للسيد محمد رشيد رضا (١/٩٠)، وكذلك الإسلام والحضارة الغربية للدكتور محمد محمد حسين ص٦٤].

[4]- المشابهة بين المعتزلة الأوائل والمعتزلة الجدد: فؤاد الشلهوب، من المكتبة الشاملة، ص ٧.

في الأرض خليفة له من البشر ليكون العالم السفلى الذي هو دون فلك القمر عامراً بكون الناس فيه، مملوءاً من المصنوعات العجيبة على أيديهم، محفوظا على النظام والترتيب بالسياسات الناموسية والملكوتية والفلسفية والعامية والخاصية جميعاً، ليكون العالم باقياً على أتم حالاته وأكمل غاياته، كما ذكر في السفر الرابع من صحف هرمس وهو إدريس النبي عليه السلام، وذكرناه في الرسالة الجامعة، وأشرنا إليه في رسائلنا وكنا سنبين في هذه الرسالة" (١)، فبدأ أولاً ربنا تعالى فبنى لخليفته هيكلاً من التراب عجيب البنية، طريف الخلقة، مختلف الاعضاء، كثير القوى، ثم ركبها وصورها في احسن صورة من سائر الحيوانات، ليكون بها مفضلا عليها، مالكا لها، متصرفا فيها كيف يشاء "(٢) .

ركز إخوان الصفا على أن المعرفة تقتصر على الحسّ، من ناحية أخرى، اتفقوا مع التيار العقلاني في موضوع أن الحقيقة قائمة بذاتها، وخالفوهم في إهدار أهمية الإدراك الإنساني في الكشف عن الحقائق، بجانب إنكار إخوان الصفا للمعلومات الفطرية الأولية، بحجة أنها ما هي سوى رسوم المحسوسات الجزئيات المُلتقطة بطريق الحواس واستشهدوا بقوله تعالى "والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا" (النحل: ٧٨)، فكلها مُستجلبة عن طريق الحس. المعرفة لدى إخوان الصفا كسبية " حس، عقل، برهان"، ومُباشرة " لدنية"، والحس على الرغم من أنه أدنى في ذلك التسلسل المعرفي إلا أنه ضروري للعروج إلى بقية السبل المعرفية، بالإضافة إلى أن الحس يشترك فيه الإنسان مع الحيوانات، والحس لا يخطئ، بل الخطأ ينبع من الظروف المحيطة بالحالة الحسية.

---

١ - انظر إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، المجلد الاول، مكتب الاعلام الإسلامي، طهران،١٩٨٥، صفحة ٢٩٧.

٢ - انظر إخوان الصفا، نفس المرجع، صفحة ٢٩٧.

وإني أسائل نفسي: كيف لمذهب أن يستغرق المذاهب كلها بتناقضاتها؟ لا ندري نحن شيئاً عن مدى إمكانية هذا، لكن الرسائل تقول إنه ضروري وواجب، فيجب أن تجمع العلوم كلها في مبدأ واحد كما تأتي المخلوقات كلها من خالق واحد.

ولأنها تجمع كل المذاهب فقد استخدمت المذاهب كلها رسائل إخوان الصفا زاعمة أنها تنتمي إلى طائفتها، وحاولت أن تطبق نظريتها الفلسفية في مشروع علمي تارة، وديني أو سياسي تارة أخرى.

وفي خلاصة تحديد هوية ومذهب جماعة إخوان الصفا، يمكن القول إنه من المستبعد أن يكون معتزلياً قد شارك في تحرير رسائل إخوان الصفا، غير إن هذا لا يمنع أن يكون فيها بعض الآراء توافق مذاهب المعتزلة بالقدر الذي تسربت به أصول المعتزلة إلى عقائد الشيعة عامة، اثني عشرية وإسماعيلية، فهنالك آراء تقرب إخوان الصفا من الشيعة الإسماعيلية من حيث العقائد الباطنية والقضايا السياسية، لكن مع ذلك فإن للرسائل اتجاهات فلسفية أكثر مما فيها من أصول الاعتزال والإسماعيلية، فلقد أرادوا المزج بين الفلسفة والشريعة وهذه انفردوا بها في عصرهم ([1]).

ويمكننا أن نخرج بنتيجة حتمية عن هوية إخوان الصفا فحواها: أن الفكر الذي يحمله هؤلاء يتعدى حدود المذاهب الشيعية المتعددة(إسماعيلية واثني عشرية وزيدية)، كما يخرج على حدود الفِرق الإسلامية المعروفة (كالمعتزلة والباطنية)؛ فهو فكر انتقائي يجمع بين الكثير من المعتقدات الدينية والمذاهب الفكرية، وينفتح أصحابه على أفكار كل نِحلة، ويبتغون جَمْعَ حكمة كل الأمم والأديان والمِلل؛ مذهبهم حسب تعبيرهم: " يستغرق المذاهب كلها، ويجمع العلوم جميعها، وذلك أنه بالنظر في جميع الموجودات بأسْرِها (الحسية والعقلية، من أولها إلى آخرها، ظاهرها وباطنها، جليِّها وخفيِّها) بعين الحقيقة من حيث هي كلها مبدأ واحد، وعلَّة واحدة، وعالَم واحد "([2]). فهم قد أفصحوا

---

[1] -إخوان الصفا فلسفتهم وغايتهم، فؤاد معصوم، ط ١، سوريا، منشورات المدى لثقافة والنشر، ١٩٩٨م، ص ٩٠

[2] -رسائل إخوان الصفا: ٤ / ٤٢.

عن هُويتهم وشرحوا لنا فلسفتهم التي تبين أن نظرياتهم مقتبَسة من الديانات المختلفة، والمذاهب المتنوعة، وسعوا جاهدين في التوفيق بينها كلها. ويلاحظ من خلال الدراسات القديمة والحديثة، أن العلماء والباحثين الذين حاولوا معرفة هوية جماعة إخوان الصفا وانتماءهم الفكري والمذهبي لا يزالون لا يجزمون بمعرفة حقيقة هذه الجماعة، ولـــم يتوصلوا إلى معرفة الحقيقة التي تظهر بجلاء شخصيات هذه الجماعة السِّرية، التي لعبت دوراً فعالاً في الفكر الإنساني.

المبحث الخامس: مناقشة فكر إخوان الصفا من وجهة نظر علماء الإسلام

ناقش أهل العلم أفكار ومعتقدات جماعة إخوان الصفا وبينوا أن منهجيتهم في مسائل كثيرة فيها غُلُوٌ وانحراف عن جادة الصواب منها:

١.اعتقاد إخوان الصفا بتدنيس الشريعة الدينية بالجهالات والضلالات .

إن منهجية إخوان الصفا وغاياتهم في قبولهم جميع العلوم والمذاهب الحقة منها والباطلة ، وعدم معاداتها لأي باطل انتقاصٌ واضح في حق الشريعة الدينية ووصفها بعدم الاكتمال ، ومن ثم فهي بحاجة إلى اكتمالها ،ولا يكون ذلك – كما في اعتقاد إخوان الصفا- إلا بالفلسفة اليونانية البشرية الحاوية للحكم الاعتقادية والمصالح الاجتهادية ، اعتقاد إخوان الصفا بتدنيس الشريعة الدينية بالجهالات كشف اللثام عن كيدهم للإسلام ورفضهم له ، فالقرآن الكريم هو بحق أصدق الحديث ، وهدى الرسول المصطفي صلى الله عليه وسلم هو أحسن الهدى ، وليس هدى فلاسفة اليونان([1]) .

٢.اعتقاد إخوان الصفا بفكرة الظاهر والباطن.

تجلى أسلوب إخوان الصفا في استخدام الرموز والإشارات والكنايات، وكان لفكرة الظاهر والباطن أثر واسع في مذهبهم إذ نقل أن حقيقة مذهبهم قائمة على هذا الأساس في أن لكل ظاهر وباطن كما جاء في رسائلهم، وتكمن خطورة النتائج المترتبة على الاعتقاد بالظاهر والباطن ، ولعل منها: الأولى : تغيّر لغة خطاب وتفسير الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم للشرع الديني مع أقوامه وفقاً لمستوى مداركهم وفهمهم للدين ، وهذا يعني أن للشرع الديني تفسيرين مختلفين تمام الاختلاف ، وهذا يفتح باباً للشك في حقيقة كون الرسول مبلغاً أميناً على تفسير رسالته تفسيراً واضحاً لا تأويل ولا غموض فيه للناس أجمعين .

---

[1] -مظاهر الإلحاد في فكر إخوان الصفا، ص ١٥، خالد عباس القط، مجلة جامعة طيبة: للآداب والعلوم الإنسانية، السنة السابعة، العدد ٢٢ ، ١٤٤١هـ.

٣ـقولهم بوحدة الأديان :

كما وجَّـهَ إخوان الصفـا اهتمامهم إلى وحـدة الأديان، فذهبـوا إلى أن جميـع الأديان في جوهرها واحـدة، لأن لها غاية واحدة هي التعلق بالمثل العليـا الفاضلـة والتشبـه بالإله على قـدر الطاقـة الإنسـانية، وأفردوا الرسالة (٤٢) من رسائلهم للحـديث في الآراء والديانات، ولا شك أن الاعتقاد بوحدة الأديان السماوية الثلاثة اليهودية والمسـيحية والإسلام خاصة ، أو التقارب بينها وصرفها ودمجها في قالب واحد اعتقادٌ ودعوةٌ خبيثةٌ ماكرةٌ ، والغرض منه خلط الحق بالباطل ، وهدم الإسلام وتقويض دعائمه ، وجرّ أهله إلى ردة شاملة ؛ ذلك لأنه لا يوجد على وجه الأرض دين حق سوى الإسلام ، وأنه خاتمة الأديـان ، وناسخ لجميع ما قبله من الأديان والملل والشرائع ، فلم يبق على وجـه الأرض ديـن تعبد الله به سوى الإسلام ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ آل عمران٨٥. وتكمن خطورة النتائج المترتبة على الاعتقاد بوحدة الأديان ، ولعل منها:

الأولى- تجميع أهل الأديـان والمـذاهب والمعتقـدات المختلفـة علـى إيمـان رجل واحد، فيصبح إيمان اليهودي مثـل إيمـان النصـراني مثـل إيمـان المسـلم، مثـل إيمان المجوسي .

الثانيـة - إغفـال إخـوان الصـفا عمـا أصـاب التـوراة والإنجيـل مـن تحريـف وتبديل وتغيير عما هو منزل حقيقة من عند الله سبحانه.

وقد تناول أهل العلم فكر إخوان الصفا ونقدوها وردوا عليها قديما وحديثاً، ومن هؤلاء قديماً:

الإمام الغزالي:

وجَّهَ أبو حامد الغزالي نقداً لإخوان الصفاء وطعن في افكارهم ومذهبهم، وبما أن إخوان الصفا سبقوا الغزالي في الفترة الزمنية، فإن بعض الباحثين اعتقد أن الغزالي تأثر بآراء إخوان الصفا التعليمية مع علمهم بالاختلاف الكبير بين فلسفة الإخوان والغزالي .

الإمام ابن تيمية رحمه الله: الذي يقول عن إخوان الصفا : هم "جماعة في دولة بني بويه ببغداد، وكانوا من الصابئة المتفلسفة المتحنفة، جمعوا بزعمهم بين دين الصابئة المبدلين، وبين الحنيفية، وأتوا بكلام المتفلسفة وبأشياء من الشريعة، وفيه من الكفر والجهل شيء كثير" ([1]) .

حديثاً: محمد أمحزون

يقول عنهم المؤرخ والباحث الأستاذ الدكتور محمد أمحزون، أستاذ التاريخ الإسلامي الوسيط بكلية الآداب جامعة المولى إسماعيل في كتابه فرق الباطنية: "اختلف الناس في أسماء من صنفوا هذه الرسائل، ولعل هذا الاختلاف يعود إلى السرية التامة التي أحاط بها إخوان الصفا أنفسهم في تطوير نظام حركتهم الهدامة وهو ما يعرف في التاريخ الإسلامي بالتقية، وهو أسلوب استعمله الرافضة والفرق الباطنية للتعمية عن أخبارها وعدم الاهتداء إلى أعضائها. فظهور الرسائل وانتشارها بين الوراقين وفي المجالس الأدبية والعلمية، تلك غاية كانت ضمن سياق خطة مؤلفيها لإثارة لغط واسع في الأوساط العلمية وبين جمهور الناس عن شخصيات المصنفين، بالإضافة إلى تأثير نفسي لدى المتلقي يفرض عليه البحث وراء سرِّ هؤلاء من خلال قيادته إلى قراءة الرسائل، ومن ثم التأثر والتفاعل مع ما ورد فيها من أفكار وآراء.. ويكفي في ذم هؤلاء الأشخاص المنتسبين إلى جماعة إخوان الصفا أنهم اشتغلوا بطاغوت الفلسفة وجعلوها دينهم، إذ يستشف من تعاليمهم وآرائهم أنها ناجمة عن نزعة فلسفية مستوحاة من أفكار فيثاغورس، واقتباسهم من العقائد الأفلاطونية والأفلاطونية الجديدة، وفلسفة المشائين والفرس والهنود" ([2])

---

[1] – (مجموع الفتاوى لابن تيمية: ٧٩/٤)

[2] – (الفرق الباطنية التاريخ والمنهاج للدكتور محمد أمحزون: ص٨١)

نتائج البحث:

يمكن الوقوف على بعض الحقائق من خلال هذه الدراسة:

أولاً: يري إخوان الصفا أنه ليس ما يمنع ألبتة من أخذ الحقيقة من هذا أو من ذاك رغم ما قد يختلف عليه الآخرون في بعض العقائد والأفكار .

ثانياً: ظهرت آراء متعارضة تنادي بأن إخوان الصفا جماعة تبنوا المذهب الشامل للفرق والديانات ولم ينتموا بالتحديد إلى فرقة معينة بذاتها أو مذهب معين.

ثالثاً: أن إخوان الصفا لم يشاركوا في أي دعوة سياسية سرية كدعوات فرق المعارضة، بل أسسوا دعوة فكرية تعليمية ذات رسالة تنويرية قام بنشرها جهاز تنويري محكم في معظم أقاليم العالم الإسلامي.

رابعاً: ثمة من قال إن دعوة إخوان الصفا كانت معتزلية، وأن متكلمي المعتزلة هم الذين كتبوا رسائلهم ونرى خطأ هذا الحكم، لأن المعتزلة كان لهم دعوتهم السرية الخاصة قبل تأسيس حركة إخوان الصفا ثم دمجوا دعوتهم بالدعوة الشيعية الزيدية، وهناك من ربط بينهم وبين الإسماعيلية .وتبقى النظرية الإسماعيلية الشهيرة التي قال بها كثيرون من الإسماعيليين خاصة، وقد أفادوا – عقائدياً وسياسياً – من غموض أسلوب الرسائل فنسبوها كما فعل الداعي إدريس عماد الدين إلى الأمام المستور أحمد بن عبد الله أو نسبوها إلى الدعوة الطيبية اليمنية كما فعل حسين همداني. والأرجح أن أول ذكرٍ للرسائل في المؤلفات الإسماعيلية يرجع إلى سنة ٥٥٧هـ، وهذا يعني أن صلة الإسماعيلية بالرسائل هي صلة استفادة جرت في اتجاه واحد لاحق بالزمن المرجح لوضع الرسائل. وقد حكم برنارد لويس بأن الرسائل ليست إسماعيلية، بل قريبة منها.

التوصيات:

أوصي بتوجيه أنظار الباحثين إلى دراسة رسائل إخوان الصفا والقضايا العقدية التي تشتمل عليها وبيان مدى توافقها مع العقيدة الإسلامية الصحيحة، ومدى مخالفتها، للتعرف على نظرتهم للإله وما يجب له من صفات الجلال والكمال، وحقيقة النبوات وهل النبوة منحةٌ أو اكتسابٌ– في نظرهم–، والسمعيات ، وهل تأثروا بالمعتزلة أو الشيعة أو غيرهم.

أهم المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر، (المتوفى: ٨٨٥هـ)، مصرع التصوف وهو كتابان: تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي، وتحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد، المحقق: عبدالرحمن الوكيل-الناشر: عباس أحمد الباز - مكة المكرمة

-الخطيب، محمد أحمد(١٩٨٦) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي : عقائدها وحكم الإسلام

فيها. عدن: مكتبة الأقصى .

-إسماعيل(١٩٩٨م). إخوان الصفا رواد التنوير في الفكر العربي. د.م: دار قباء.

-السواح ف. (٢٠٠٨). طريق اخوان الصفاء الموصل الى الغنوصية الإسلامية. دمشق : دار علاء الدين .

-البعلي. ف. (١٩٥٨). فلسفة إخوان الصفا الاجتماعية والأخلاقية. بغداد: مطبعة المعارف.

- الشوبكي، الرقب ، الدكتور محمود الشوبكي، : الدكتور صالح الرقب- دراسات في التصوف والفلسفة الإسلامية، قسم العقيدة- كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية- غزة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ-٢٠٠٦ م .

-الشيخ، صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، هذه مفاهيمنا، الناشر: إدارة المساجد والمشاريع الخيرية الرياض، الطبعة: الثانية ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .

- الشيخ، : ناصر بن علي عايض حسن ، مباحث العقيدة في سورة الزمر، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية،، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م

-غالب، محمد(١٩٦٩)، . في رحاب اخوان الصفا وخلان الوفا . (د.م.): منشورات احاد

- العوا عادل. (١٩٩٣) . حقيقة اخوان الصفا. د.م. : الهلالي للنشر والتوزيع.

-المحمود، عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود ، موقف ابن تيمية من الأشاعرة، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.

- اليوسف ، عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف ، الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، الناشر: مكتبة ابن تيمية، الكويت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، المؤلف: الندوة العالمية للشباب الإسلامي

إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠ هـ .